تحفة المتأمل

في

سيرة العالم الأجل

عبد الله بن الحسن المتوكل رحمه الله

هلمَّ إلى السيرة العاطرة ... لتعرف ما السيرة الطاهرة

هلمَّ إلى سوح هذا الجناب ... وقف عند روضته العامرة

إلى السيد الندب فخر الهدى ... وقعساء همته القاهرة

عليه من الله أزكى السلام ... وأزكى تحياته الفاخرة

جمع هذه السيرة المباركة راجي عفو ربه ومغفرته

عبد الصمد عبد الرحمن عبد الله المتوكل

عفى الله عنهم

الطبعة الأولى

٢٠٢٤م – ١٤٤٦هـ

جميـــــع الحقـــــوق محفوظـــــة

لدى المؤلف / اليمن – صنعاء

تقريض المولى العلامة الحجة/محمد عبدالله عوض المؤيدي أيده الله.

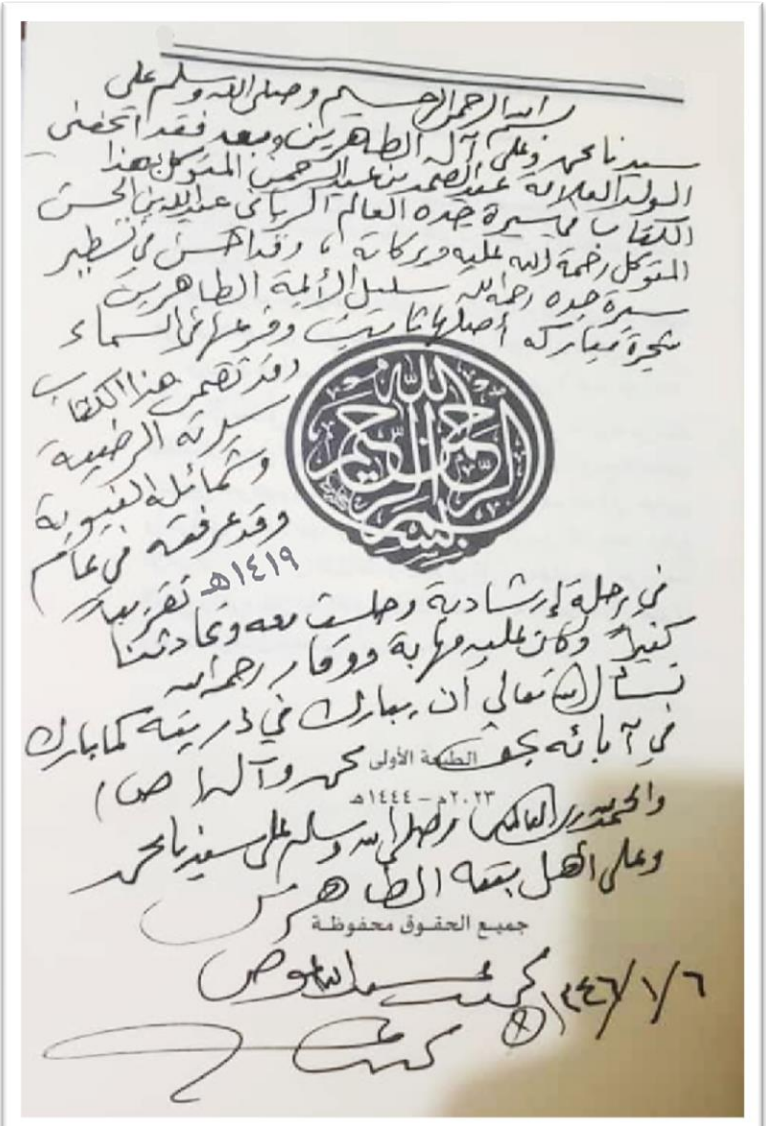

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين

وبعد:

فقد أتحفني الولد العلامة عبدالصمد بن عبدالرحمن المتوكل بهذا الكتاب في سيرة جده العالم الرباني عبدالله بن الحسن المتوكل رحمة الله عليه وبركاته، وقد أحسن في تسطير سيرة جده رحمه الله، سليل الأئمة الطاهرين شجرة مباركة أصلها ثابت وفرعها في السماء، وقد تضمن هذا الكتاب سيرته الرضية وشمائله النبوية وقد عرفته في عام ١٤١٩هـ تقريباً في رحلة إرشادية وجلست معه وتحدثنا كثيراً، وكان عليه مهابة ووقار رحمه الله، نسأل الله تعالى أن يبارك في ذريته كما بارك في آبائه بحق محمد وآله ﷺ

والحمدلله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى أهل بيته الطاهرين ٦/ ١/ ١٤٤٦هـ.

محمد عبد الله عوض

تقريض السيد العلامة/ يحيى بن محمد بن إسماعيل جحاف حفظه الله.

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم

أطلعني سيدي العلامة وحبر الإسلام عبد الصمد عبد الرحمن عبد الله الحسن المتوكل سلك الله به مسالك آبائه الطاهرين وحفظ حفظ كتابه المبين على كتاب السيرة المباركة التي جمعها في سيرة جده فخر الملة وبدر الأعلام السيد العلامة الولي عبد الله الحسن بن أحمد بن عبد الله بن يحيى الهدوي القاسمي المتوكلي بارك الله له في حلول عسره وأجزل له الثواب على ما قد مر في أمسه من تكبين لدهماء وحقن لدماء وقيام في ليالي الظلماء بين يدي رب الأرض والسماء

فحقيق بمثل هذا العالم العلم والطود الشامخ الأشم أن تتزين بذكره الدفاتر وتتشرف ببسط سيرته الزبرجية الأقلام والمحابر وتنشح بسحر فيه الأوراق وتتمتع بقراءة سيرته الآماق:-

هات الأحاديث عن أحبابنا هاتِ ... يا نسمةً روحت قلبي بنسمات

وكل تقريض لهذه السيرة الشريفة صادر من هو مثلي ممن هو في حقه قليل كيف وحدي كليل وصارم بساني غير صقيل. ولكن نزولا عند تعذير من لا يسعنا إلا التزول عند رغبته لوجوب حق الرعي علينا لازم وهذا ما يبغي على الحازم سطرنا هذه العبارات مع ركة مبانيها وضعف معانيها وقلت ما يشبه الشعر وما هو إن لم أكن شاعرا وإن جاء سليم النظم فما كل ناظم شاعر كما أن كل شاعر ناظم. والله المستعان.

هلم إلى السيرة الطاهرة ... لتعرف ما السيرة الطاهرة
هلم إلى سوح هذا الجناب ... وقف عند روضته العامرة
إلى عترة ابن الأئمة من ... بني القاسم الفرقة الظاهرة
إلى السيد المذرخي الهدى ... وقمساء همة القاهرة
شريف الخصال رفيع الكمال ... بر الله كم أطفئت نائرة
عليه من الله أزكى السلام ... وأزكى تحايا الفاخرة
تهب على مسمعي كل آن ... وتصحبه نشأتي الآخرة
وصلى الإله على جده ... نبي الهدى الأمة الحائرة
كذا آل الغر ما استهلال ... كواكب في فلكها سائرة

وكتبه المفتقر إلى من بيده لطف الألطاف
يحيى محمد بن إسماعيل جحاف أحسن الله حاله وأصلح باله
وحرر تاسع الاثنين ١٠ محرم الحرام ١٤٤٦هـ

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم

أطلعني سيدي العلامة وجيه الإسلام/ عبدالصمد بن عبدالرحمن بن عبدالله بن الحسن المتوكل سلك الله به مسالك آبائه الطاهرين وحفظه حفظ كتابه المبين علي كتاب السيرة المباركة التي جمعها في سيرة جده فخر الملة وبدر الأهلة السيد العلامة الولي/ عبدالله بن الحسن بن إسماعيل بن عبدالله بن يحيى الهدوي القاسمي المتوكلي بارك الله له في حلول رمسه، وأجزل له ثواب ما قدمه في أمسه من تسكينٍ لدهماء، وحقنٍ لدماء، وقيام في ليالٍ ظلماء بين يدي رب الأرض والسماء فحقيقٌ بمثل هذا العالم العَلَم والطود الشامخ الأشم أن تتزين بذكره الدفاتر، وتتشرف بتسطير سيرته الشريفة الأقلام والمحابر، وتشمخ برسمه فيها الأوراق، وتتمتع بقراءة سيرته الآماق:

هاتِ الأحاديث عن أحبابنا هاتِ ... يا نسمة روّحت قلبي بنسمات

وكل تقريض لهذه السيرة الشريفة صادر ممن هو مثلي فهو في حقه قليل كيف وحدِّي كليل، وصارم بياني غير صقيل، ولكن نزولاً عند رغبة من لا يسعنا إلا النزول عند رغبته لوجوب حقٍ له علينا لازمٌ، وهذا ما ينبغي على الحازم، سطّرنا هذه العبارات مع ركة معانيها، وضعف مبانيها، وقلت ما يشبه الشعر، وإن لم أكن شاعراً، وإن جاء سليم النظم، فما كل ناظم شاعر كما أن كل شاعر ناظم، والله المستعان.

هلمَّ إلى السيرة العاطرة ... لتعرف ما السيرة الطاهرة
هلمَّ إلى سوح هذا الجناب ... وقف عند روضته العامرة
إلى عقوة ابن الأئمة من ... بني القاسم الفرقة الظاهرة
إلى السيد الندب فخر الهدى ... وقعساء همته القاهرة
شريف الخصال ربيب الكمال ... به الله كم أطفئت نائرة
عليه من الله أزكى السّلام ... وأزكى تحياته الفاخرة
تهب على رمسه كل آن ... وتصحبه إن أتى الآخرة
وصلى إلهي على جده ... نبي هدى الأمة الحائرة
كذا آله الغر ما دامت الـــ ... ـكواكب في فلكها سائرة

كتب المفتقر إلى من بيده خفي الألطاف/ يحيى بن محمد بن إسماعيل جحاف. أحسن الله خاتمته، وأصلح ذريته. حرر بتاريخ الإثنين ١٥/ محرم/ ١٤٤٦هـ.

تقريض العلامة الفاضل ولي آل محمد/ عبدالله بن علي القذان حفظه الله.

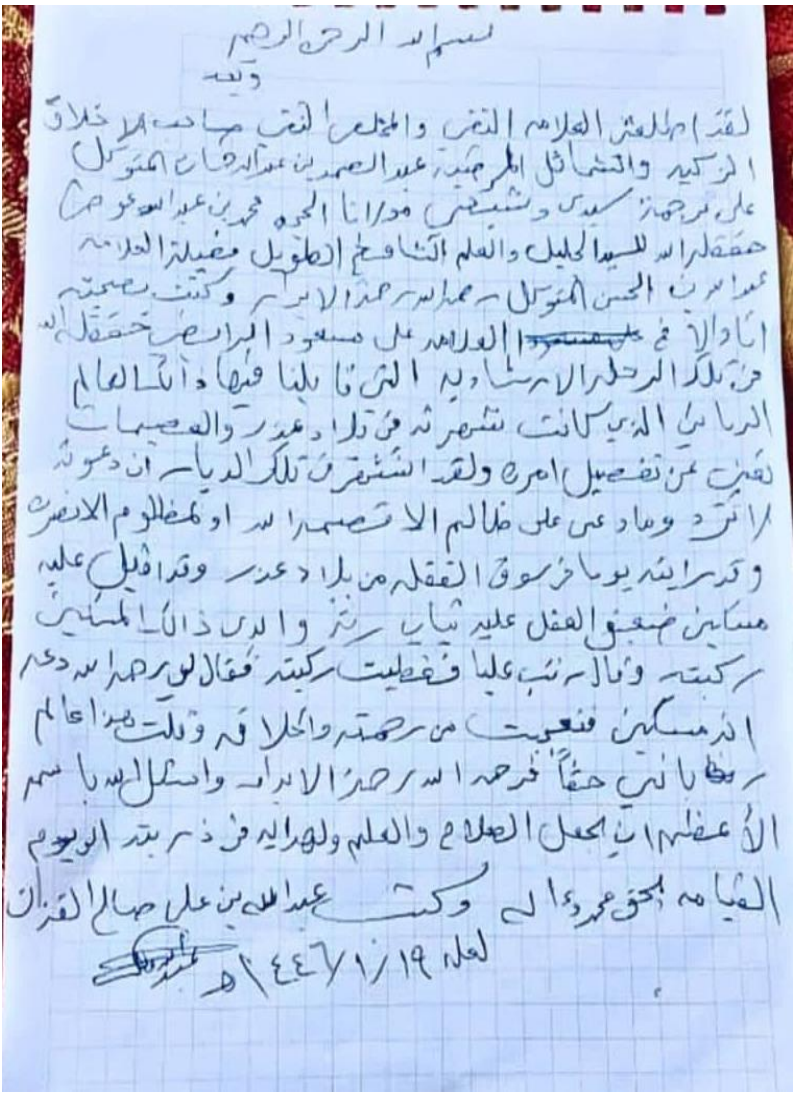

بسم الله الرحمن الرحيم

وبعد

لقد اطلعت العلامة النحرير والمحدث الشهير صاحب الأخلاق الزكية والشمائل المرضية عبد الصمد بن عبد الرحمان المتوكل على مرجمة سيدي وشيخي ومولانا المجدد محمد بن عبد الوهاب حققه الله للسيد الجليل والعلم الشامخ الطويل فضيلة العلامة عبد الله بن الحسن المتوكل رحمه الله رحمة الأبرار وكتب بصحيفة الأبرار في عليين العلامة على صعود البراض حققه الله من تلك الرحلة الإرشادية التي قاما بها في تلك القرى والبوادي التي كانت تشتهر بالجهل والعصبيات لقين عن تفصيل أمرها ولقد استشعرت من تلك الديار أن دعوته لا تزدد وهادعى على ظالم الا تصمد الله او لمظلوم الا نصرت وقد رأيته يوما في سوق القفلة من بلاد عذر وقد أقبل عليه مسكين ضعيف العقل عليه ثياب رثة والدم ذاك المسكين ركبته وثالرثب عليها فضلت ركبته فقال له رحمه الله دعه المسكين فتعجبت من رحمته وأخلاقه وقلت هذا عالم رباني حقا فرحمه الله رحمة الأبرار وأسأل الله باسمه الأعظم أن يجعل الصلاح والعلم والهداية في ذريته اليوم القيامة بحق محمد وآله وكتبه عبد الله بن علي صالح القذان

في ١٤٤٦/١/١٩هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

وبعد:

لقد أطلعني العلامة التقي والمخلص النقي صاحب الأخلاق الزكية والشمائل المرضية عبدالصمد بن عبدالرحمن عبدالله المتوكل على ترجمة سيّدي وشيخي مولانا الحجة/ محمد بن عبدالله عوض حفظه الله، للسيد الجليل والعَلَم الشامخ الطويل فضيلة العلامة/ عبدالله بن الحسن المتوكل رحمه الله رحمة الأبرار، وكنت بصحبته أنا والأخ العلامة/ علي مسعود الرابضي حفظه الله في تلك الرحلة الإرشادية التي قابلنا فيها ذلك العالم الرباني، الذي كانت شهرته في بلاد عذر والعصيمات تغني عن تفصيل أمره، ولقد أشتهر في تلك الديار أن دعوته لا تردّ، وما دعا على ظالم إلا قصمه الله أو لمظلوم إلا نصره الله، وقد رأيته يوماً في سوق القفلة من بلاد عذر، وقد أقبل عليه مسكين ضعيف العقل عليه ثياب رثّة، وأبدى ذلك المسكين ركبته وقال: رتب عليّ فغطيت ركبته فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: دعه إنه مسكين فتعجبت من رحمته وأخلاقه، وقلت: هذا عالمٌ رباني حقاً فرحمه الله رحمة الأبرار، وأسأل الله باسمه الأعظم أن يجعل الصلاح والعلم والهداية في ذريته إلى يوم القيامة بحق محمد وآله.

كتب/ عبدالله بن علي صالح القذان. لعله ١٩/ ١/ ١٤٤٦هـ

*****

تنبيه

هذا.. وليعلم المطلع أنِّي لم آل جهداً في التصحيح والإصلاح إلَّا أنَّ ذلك لا يخلو من أخطاء، ولا يكاد يخلو من النقص والغلط سوى كتاب الملك المعبود.

لهذا.. نرجو من الإخوان الكرام من رأى عيباً أو نقصاً في ذلك فليعيننا على إصلاحه وأجره على الله.

ولله القائل:

وإن تجد عيباً فسد الخللَا فجلّ من لا عيب فيه وعلا

مع أنِّي بفضل الله وعونه قد بلغت الجهدَ في تحصيل ما زبرته من ذلك ابتغاء للأجرِ من الله، وخدمة لأُولي الألباب، فقد بذلتُ الوسع لإفادتهم، وتسهيل معرفتهم بسيرة بعض الصالحين؛ ليكونوا لهم قدوةً في حياتهم، وإسوةً في معاملاتهم، واللهَ أسألُ وبجلاله أتوسل أن ينفعنا وجميعَ الإخوان بهذه السيرة المباركة؛ وأن يجزي كلَ من أعان على إخراج هذا العمل ونشره خير الجزاء، ويجزل لنا ولهم المثوبة والعطاء، وأن يختم لنا ولكافة عباده المؤمنين بالحسنى.

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ٢٥ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ٢٦﴾

الْحَمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ، الْحَمدُ لِلَّهِ وَسَلامٌ عَلَى عبادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى، والصلاة والسلام على أشرف مبعوث رحمة للعالمين وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، ورضي الله عن أصحابه الأخيار من المهاجرين والأنصار، وبعد:

فإنّه لَمَّا كان في ذكر الأولياء الصالحين آياتٌ للسائلين كما أخبر أصدق القائلين بقوله تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخۡوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٞ لِّلسَّآئِلِينَ ٧﴾ وقوله: ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١١١﴾ [يوسف] أحببتُ(١) أن أذكر في هذه السطور بعض تلك الشخصيات الكريمة، والأنوار المحمدية الحميدة التي سَمتْ وعلَتْ في سماءِ المجد والعظمة، وأثمرت في أرضٍ طيّبةٍ أصلها ثابتٌ وفرعها في السماء، تُؤتي أُكُلَها كُلَّ حينٍ بإذن ربها، فكانت إسوةً لمن اقتدى، ومثلاً لمن احتذى، وآيةً للسائلين.

---

(١) جواب لـمَّا.

تلك الشخصية العظيمة النادرة الفذة التي لا زالت في الأذهان حاضرةً وفي القلوب محبّبةً معظّمةً، وعلى الألسن مبجّلة، وبالثناء مكرّمة، التي لم يختلف على فضلها اثنان؛ لما تحلّا به من خصال الفضل والكمال من العلم والعبادة، والورع والتقوى، والخشية لله وطاعته، مع ما حباه سبحانه من مكارم الاخلاق الطيّبة التي جُبِلَ عليها، وشَرَّفه بها.

وهذا.. أيضاً مع فضيلةٍ أكرمه الله بها، وهي استجابة الله لدعائه، وتوفيقه له بالإصلاح بين الناس، بإصلاح ذات بينهم، وحل قضاياهم، وحقن دمائهم، وتأمين طرقهم، وفَكّ خصوماتهم، مهما كانت تلك الخصومات وكيفما تكون، فإنه يحلّها بفضل الله وعونه.

لهذا.. أصلح الله على يديه العباد والبلاد، وتألّفت به قلوبهم على المحبة والإخاء والرحمة والصلاح، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

تلك الشخصية هو العالم العابد/ عبد الله بن الحسن بن إسماعيل بن عبد الله بن يحيى بن إسماعيل بن علي بن القاسم بن أحمد بن الإمام المتوكل على الله إسماعيل عليه السلام.

السبب الداعي لهذه السيرة

هو ما علمنا من بركات سيرته العطرة، وأنوار حياته المباركة، ومكارم أخلاقه العالية، ومحاسن أعماله الطيبة، ومعاملته الحسنة مع الناس بإصلاح ذات بينهم، وحقن دمائهم، وتأمين سبلهم، وحل مشاكلهم، بما يبهر الألباب، وتتحير عنده الأفكار، ويعجز عن وصفه اللسان، من حلّ تلك القضايا الكبيرة، والمشاكل المعقدة من قضايا القتل والحروب والفتن، والتي كانت تنشب من حين لآخر، فيأتي ويطفئ نار الفتن، ويخمد أنفاس لهيبها، ويحلها في أسرع وقت بعون الله تعالى وفضله، وما ذلك إلّا لتأييد الله له، ولطفه وتسديده، حيثُ وفقه لإصلاح ذات البين فحظي بتوفيق الله، ومحبة العباد، وصدق الله القائل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ٩٦﴾ [مريم].

لذلك.. أكرمه الله سبحانه بالمحبة والوجاهة بين العباد، فجاهه مقبولٌ، وقوله مسموعٌ، عند الخاصة والعامة من الناس، فهم يحترمونه، ويعرفون له قدره وفضله؛ لما يرون من تأييد الله له باستجابته سبحانه لدعائه، وتلبيته لندائه، وتعجيل عقوبة من خالفه أو عارضه حينما يُصلح بين الناس فيهلكه الله بيومه كما ذلك معروفٌ عند الناس، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده.

هذا.. ولـمَّا عرفنا مكارم أخلاقه، وبركات أعماله الصالحة، وكراماته النيرة، وفضائله المعروفة لدى الناس ممن عرفه من أهل زمانه، وقد نقلوا الكثير الطيب من كراماته إلَّا أنه قد يلحقها مع مرور الأيام النسيان -فضلاً عمّن لم يعاصره من الأجيال القادمة فإنهم يجهلون مكارم حياته- أحببنا أن ينفعنا الله وجميع الإخوان بذكر سيرته العطرة، وحياته المباركة، فنقتبس من أنوار هدايته، تأسياً بأخلاقه، واقتداءً بأفعاله، واقتفاءً لآثاره، وسيراً على منواله، وتعريفاً للأجيال القادمة الذين لم يعرفوه ولم يشاهدوه؛ ليكون لهم قدوةً في حياتهم بأعماله الصالحة، وقيامه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بسعيه بالإصلاح بين الناس وأيضاً طلباً لرحمة الله وثوابه؛ لعلّنا أن نحظى بالقبول من الله سبحانه بأن يدخلنا معهم برحمته في عباده الصالحين، متقرباً بهذا العمل إلى الله، وصلة وبراً بوالدنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ عسى الله أن يقرَّ عينه بذلك، وأن يكون سبباً لنا إلى رضوان الله، وفوزاً بثوابه، فنسعد بمجاورتهم غداً، ونحظى بمرافقتهم في تلك الجنان المباركة، والمساكن الطيبة، والأنهار الجارية، في دار كرامته ومحلّ أوليائه وأحبائه.

هذا.. وأيضاً مع ما حثنا عليه بعض علمائنا العاملين، جزاهم الله عنا خير الجزاء، ورضي عنهم أحسن الرضى، وأكّدوا في حثهم علينا أن نزبُرَ في هذه السطور ذكرَ سيرة حياته المباركة، وأن في ذلك نصرة لدين الله، فقمتُ مستعيناً بالله، ومتوكلاً عليه أن يوفقني للقيام بهذا العمل أحسن القيام، مع أني كنت قد كتبتُ سيرةً مختصرة بعد وفاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلَّا أنَّا لما رأينا حثّ علمائنا ورغبتهم في ذلك توسعنا في سيرته العطرة، راجياً من الله سبحانه التوفيق والقبول لذلك، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وحياة لدينه القويم، مقرِّباً لنا إلى رضوانه وجنته، وأن يعمَّ نفعه جميعَ الإخوان، بحول الله وقوته، إنَّه قَرِيْبٌ مُجِيْب.

هذا.. وقد استشرت واستأذنت في القيام بهذه السيرة المباركة، سيدي العالم الحجة/ محمد بن عبد الله عوض حفظه الله وأبقاه ونفعنا بعلومه وكافة المسلمين، فأذن لنا في ذلك، ودعا لنا، وقال: عملٌ صالحٌ، والله ينور بصيرتكم، فتوكلتُ على الله، واستعنتُ به؛ لإخراجه إلى حيز الوجود؛ لينفعَ الله بسيرته العباد، ويستفيدَ منها الخاص والعام، فيكون لنا أسوة في حياتنا، وقدوة في معاملتنا، ولكن لا ندري هل ستُسعدُنا الأيامُ حتى إكمال إظهاره للناس،

أم نلقى الله قبل ذلك، كل ذلك في علم الله، إلَّا أن أملنا في الله كبير، ورجاؤنا به عظيم، أن يحققَ الأملَ، ويتقبلَ العملَ، ويكتب له النجاحَ والتوفيق، مع أني لم آل جهداً في تحصيل ذلك ابتغاء مرضاة الله وثوابه، وخدمة لطالبيه.

فاحرص أيها القارئ الكريم.. على ما في ذلك من فوائدَ عظيمة، ودررٍ نفيسة، واعلم أنَّ هذا العمل لم يأتِ إلا بجهدٍ وبذلٍ للوقت ليالٍ وأياما، وقد مكثتُ فيه أكثر من سنةٍ مع القيام ببعض الأعمال، ومع كل ذلك نحمد الله على العون والتوفيق، وإن كنت عند نفسي مقراً بقلة البضاعة وقصر الباع في هذا الميدان، إلَّا أنِّي أرجو من الله سبحانه القبول لذلك، وأن يجعله من الأعمال المقبولة، والآثار المكتوبة، وأن ينفعَ به العبادَ، وكلَ من وقف عليه من أولي الألباب، وأن يجزي والدنا عنا وعن الإسلام والمسلمين أفضل ما جازى به عباده الصالحين وأولياءه المتقين، وأن يعلي مقامه في أعلى الدرجات، وأن يسكنه مساكن الأبرار، وأن يهب لنا من بركات فضائله، وأنوار هدايته، ومحاسن أخلاقه ما نسعد به في الدنيا والآخرة، وأن يجمعنا به وبأسلافنا الأخيار بجوار نبينا محمد وآله في مقعد صدقٍ عند مليكٍ مقتدر.

نسبه الشريف

هو السيد العالم العابد الورع التقي فخر الإسلام ونجم سلالة آل البيت الكرام/ أبو محمد عبد الله بن الحسن بن إسماعيل بن عبدالله بن يحيى بن إسماعيل بن علي بن القاسم بن أحمد بن الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد بن علي بن محمد بن علي بن الرشيد بن أحمد بن الأمير الحسين الأملحي بن علي بن يحيى بن محمد بن يوسف الأشل بن القاسم بن الإمام الداعي إلى الله يوسف بن الإمام المنصور بالله يحيى بن الإمام الناصر أحمد بن الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهم جميعاً رضوان الله وسلامه.

ولله القائل:

نسبٌ كأنَّ عليه من شمس الضحى نوراً ومن فلق الصباح عمودا

* * * * *

مولده

وُلِدَ رضوان الله عليه: بشهارة الأمير ليلة الجمعة ٢رجب سنة ست وأربعين وثلاث مائة وألف (١٣٤٦هـ) من هجرة سيد البشر عليه وآله الصلاة والسلام.

حليته

كان رضوان الله عليه طويل القامة بين النحافة والسِمَن، عريض المنكبين، أكحل العينين، مفروق الحاجبين، أقنى الأنف، أبلج الوجه، صحيح الأطراف، سليم الحواس، تام الخَلْقِ وسويّه، جميل المنظر، حَسَن الصّورة، مهيب الطلعة، وجهه كالقمر ليلة البدر.

ومن صفاته أنه كان من أصحاب العقول الراجحة، والأنظار السديدة، صادق الفراسة لا يكاد يخطئ، مؤيداً مسدداً، قد آتاه الله غرر المكارم، ومحاسن الأخلاق، فهو حليم الطبع، متواضع النفس، رحب الصدر، ليّن الجانب، صبور وقور، لم أرَ مثله أطيب وجهاً، وأنقى قلباً، وأصدق قولا.

* * * * *

نشأته

لقد نشأ -رضوان الله عليه- في أسرة عِلميّة صالحة كريمة من بيت النبوة ومعدن الرسالة..، فتربى تحت كنف والديه الشريفين رحمهما الله تعالى، تحوطه عنايتهما بعد عناية الله ورعايته، فنشأ على العلم والعبادة، والطهارة والتقوى، والصلاح والهدى فتعلم القرآن وحفظه على ظهر قلب، فلا يفتر لسانه عن ذكر الله وتلاوة كتابه ليلاً ونهاراً، وتلقى العلم على يد والده، ثمَّ على أيدي كوكبة من علماء عصره، وهاجر إلى كثيرٍ من الهجر العلمية منها: هجرة حوث، ومعمرة، وصعدة، وغيرها من الهجر؛ لمواصلة دراسته العلمية، وليلتحق بركب العلماء العاملين، فصار عَلَماً بارزاً، وعالِماً عاملاً.

مشائخه

من أبرز مشايخه الذين أخذَ عنهم رضوان الله عليهم:

السيدالعلامة/ لطف ساري، والسيد العلامة/ أحمد حسن الحوثي وغيرهم.

ومن أبرز زملائه بهجرة حوث سيف الإسلام الحسن بن يحيى حميد الدين، وأخيه المطهر، وغيرهم.

وعَمِل في المعهد بصعدة كأمين على المكتبة فيه، ومُعلِّمٍ مع إخوانه العلماء، ومن زملائه هناك السيد العلامة/ عبد الرحمن حسين شايم، وغيرهم، لا أذكرهم الآن.

نبذة من حياته المباركة

لقد كان رضوان الله عليه مؤمناً ربانياً -بكل ما تعنيه الكلمة- عابداً قانتاً، صائماً قائماً، ورعاً زاهداً، حامداً شاكراً، منذُ نشأته وشبابه، برّاً بوالديه، رؤفاً رحيماً بهما، إذا حدّثَ صدق، وإذا وعدَ أوفى، وإذ اؤتمن أدى أمانته كما هو معروف من حاله، شجاعاً أبياً، يقول الحقّ وإن عزَّ، لا تأخذه في الله لومة لائم، صاحب عقلٍ وحكمة، وخُلقٍ عظيم، وتواضع كبير، لا يكاد أن يساويه أحدٌ في تواضعه وأخلاقه العالية إلَّا القليل ممن رحم الله، شيمته العفو والتسامح وكظم الغيظ، فيحلم عمّن جهله، ويعفو عمن ظلمه، ويصل من قطعه، يعطف على الضعفاء والمساكين ويعين المحتاجين ويحث على إعانتهم، قريبٌ من الله، قريبٌ من الناس محبّبٌ إليهم، فيصلح بينهم، ويحل مشاكلهم، ويأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر، يُعظِّمُ كتابَ الله وأوليائه، لم أرَ من يعظم كتاب الله مثلَه إلَّا مَنْ رحم الله، إذا ابتدأ عملَه ابتدأه بالذكر والبسملة قائلاً: بسم الله الرحمن الرحيم، كلامه ذِكرٌ، وصمته فِكرٌ، وحليفه القرآن فهو يتلوه آناء الليل وأطراف النهار، وليست هذه مبالغة في حقه، وإنّما هو الحقيقة، فإذا نظرتَ إليه رأيت لسانَه يتحرك بذكر الله وتلاوة كتابه،

سواء في سفر أو حضر ماشياً أو قاعداً، وما قلنا فهو الحقُّ، والله يشهد على ذلك، وكفى به شهيدا.

هذا.. وقد لازمته ولله الحمد فلم أجده إلا ذاكراً لله يتلو آيات كتابه، وكنت أسمعه يتلو القرآن حينما أنام بجواره، فإذا ما تشابه عليه بعض آيات القرآن فتح مصحفه الصغير الجيب ليقرأ الآيةَ ثمّ يعود ويواصل قراءته فسبحان من متّعه ببصره -مع كبر سنه-؛ ليقرأ في المصحف الصغير، وهذا مصداقٌ لحديث النبي ﷺ ((من أدام النظرَ في المصحف متعه الله ببصره ما بقي في الدنيا)) وكنت أسمع له في آخر الليل ركوعاً وسجوداً ومناجاة بين يدي الله بصوت خفي ودون الجهر من القول؛ حيثُ كان ملازماً لقيام الثلث الأخير من الليل مُدة حياته حتى أقعده المرض قبل وفاته رحمه الله تعالى بحوالي ستة أشهر تقريباً.

وكان أيضاً مبادراً ومسارعاً إلى فعل الطاعات والقربات المقربة الى الله تعالى فلم أرَه طيلة حياته إلّا محافظاً على الصلوات الخمس في أوقاتها جماعة مع تأدية السنن والمندوبات، والتزامه وتأسّيه بسنة رسول الله ﷺ حتى في السواك.

ومن تقواه لله وخشيته أنه كان لا يحلف أبدا؛ بل يقول: الله العالم.

زهده في الدنيا

وكان من صفاته -رضوان الله عليه- الزهد والعفة في الدنيا ومناصبها وتوليها مع استطاعته على ذلك؛ لما له من المكانة والمحبة في قلوب الناس، وقد عُرضت عليه كما بلغنا عدة مناصب كبيرة في القضاء ليتولاها لكنّه أبى إلَّا العفة والورع والزهد عنها وآثر الباقية على الفانية.

هذا.. ومن زهده أنه لم يهتم بالدنيا، ولم يجعل لها اعتباراً في قلبه، فكان بيته بيتا شعبيا، وأحجاره من السائلة وسقفه من أعواد السدر.

دوره في نصرة الدين

هذا.. وكان لهرَحِمَهُ ٱللَّهُ دوراً عظيماً في نصرة الدين، والحق والمحقين من أولياء الله المتقين، وإحياء مذهب أهل البيت الأكرمين، واهتمامه بنشر الدين، وإحياء شريعة سيد المرسلين وتعليم الناس أمورَ دينهم وخاصة الأبناء والشباب، وحثهم على المحافظة على تعاليم الإسلام الحنيف حتى في لبسهم ومعاملتهم مع بعضهم، وتطبيق معالم الشريعة المحمدية في أوساط المجتمعات، وإفشاء السلام والمحبة والرحمة بين الناس، وسعيه بالإصلاح بين العباد، بإصلاح ذات بينهم، وحل مشاكلهم، فكم.. قضايا حلها، وأمورٍ.. أصلحها، وفتن أخمد نار لهيبها، وكم.. أهتدى على يديه من أناس، وكم.. تابوا إلى الله من خلقٍ ببركة أعماله الصالحة، وأخلاقه الطيبة.

وهذا أيضا مع اهتمامه بأداء الواجبات والمحافظة على الصلوات في أوقاتها جماعة كما أسلفنا، ومسارعته إلى الخيرات، وبذل أحب أمواله لله في القربات والمساجد ونحو ذلك، وحبه لصدقة السر، والعطف على الضعفاء والمساكين، والحث على إعانتهم، وإعانة المعسرين، وتيسير الزواج للشباب، وقضاء حوائج المحتاجين، فكم.. له من أيادٍ كريمة، ومقاماتٍ نبيلة، ومساعٍ حميدة في ذلك، فأعماله الصالحة، وأخلاقه الطيبة، ومعاملته الحسنة مع الناس جميعاً، أدت إلى محبتهم له وقربهم منه، فهو قريبٌ منهم محببٌ إليهم، أينما توجهت في أي بلدٍ أو مجتمعٍ فهم يحبونه ويثنون عليه بالصفات الطيبة، والخصال الحميدة، فسبحان من ملأ محبته قلوب العباد، مع ما حباه الله سبحانه بالحلم والمهابة والوقار، وليس هذا مزايدة في شأنه، وإنما هو الحقّ، ولا ينبئك مثل خبير، فهو بحقٍ أُمّة يُقتدى به، ومثلاً يُحتذى بحذوه.

ترى لسيرته هدياً لمتخذٍ سبيلها عنه في بحر الهدى سربا
آهاً لمن كان سبّاقاً إلى الرتب الدين أولها يهناه ما كسبا

لهذا.. أدعو نفسي وذريتي وجميع أقاربنا وأرحامنا وأهل مجتمعنا وكافة إخواننا المؤمنين إلى الاقتداء والتأسي به رَحِمَهُ ٱللَّهُ في إخلاصه لله وتقواه، وفي كل أعماله الصالحة، ومعاملته الحسنة مع الناس،

وحرصه على هدايتهم، وصلاح ذات بينهم، والتي تجل عن النظير، فلم ترَ قطُّ عيني مثله سوى علمائنا العاملين، فقد جمع كمال الخصال، وخصال الكمال، وتنافست في بلوغ مرتبته أعيان الرجال.

هيهات أن يأتي الزمانُ بمثله إن الزمانَ بمثله لبخيل
وليس على اللّه بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

نعم.. حينما نذكر حياة الصالحين ما ذاك إلَّا لنقتبس من أنوار هدايتهم، ونتبرك بذكر أعمالهم الصالحة، ونقتدي بهم في أفعالهم الطيبة، وأخلاقهم الكريمة، فنتعلم منهم الدروس، ونستلهم منهم العظات والعبر، فهم نورٌ للمستبصرين، وسراجٌ للمتنورين، وقدوة للمسترشدين المتقين.

لهذا كان رضوان الله عليه، نوراً ساطعاً، وسراجاً منيراً، ومثلاً يُقتدى وإسوة يحتذى، فهو منذُ حداثة سِنّه ونعومة أظفاره ناشئٌ على الإيمان والتقوى، والعلم والعبادة، ملازم لذكر الله تعالى لا يفتر لسانه عن ذكر الله وتلاوة كتابه ليلاً ونهاراً، كما أسلفنا.

ولله القائل:

أئمةُ عدلٍ يُقتدى بفعالهم وتؤمن منهم زلة العثراتِ
فيا ربِّ زد قلبي هدىً وبصيرة وزد حبهم يا ربِّ في حسناتِ

مكانته في المجتمع

مكانته في المجتمع كبيرةٌ، ومحبته بين الناس عظيمةٌ، فكلمته مسموعةٌ، وصلحه مقبولٌ، وقوله مطاع عند الناس جميعا، وخاصّة عند وجهاء القبائل؛ بل وحتى عند كبار رجال الدولة فهم يُقدّرونه، ويعرفون له مكانته؛ لما حباه الله من الفضل والقبول لدعائه، ووفقه سبحانه للسعي بالخير والإصلاح بين الناس فأعماله كلها موفقة مسددة، مؤيد بالنصر والظفر من الله سبحانه، فلا يتجاسر أحدٌ على مخالفته في إصلاحه بين الناس؛ بل يقبلون كلامه ويرضون بصلحه؛ لمعرفتهم بورعه وتقواه، وعلمهم بأن من خالفه أو عارضه عاجله الله بالمصيبة في نفسه وماله، وذلك بدعوته عليهم، كما ذلك مشهورٌ، وبين الناس منشورٌ لا ينكره إلَّا معاندٌ، ولفضل أهل الحق جاحد، وأمَّا من قَبِل صُلحه ورضي به فإنه ينال الخير والبركة في نفسه وأهله.

ولله القائل:

أدبُ الوقارِ وعزُّ سلطان التقى ... فهو المطاعُ وليس ذا سلطانِ

* * * * *

الإصلاح بين الناس

لقد كان همّه الأكبر وشغله الشاغل الإصلاح بين الناس، بإصلاح ذات بينهم، آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، كما هو دأبه وديدنه حتى لقي الله على ذلك، فغايته إصلاح شأن المسلمين، وجمع كلمتهم، ولَمّ شعثهم، وإصلاح أحوالهم، وحقن دمائهم، وحل قضاياهم، مهما كانت القضية فإنه يحلها بعون الله وفضله، ويطفئ نار الفتن، ويسكن الدهماء ويحقن الدماء، ويؤمّن الخائف في الطريق المسبّلة التي كانت تُقطع من قِبل القبائل بسبب مشاكلهم كما هو معروف من حالهم، فهم في صراعٍ وقتالٍ مستمرٍ مع بعضهم البعض وخاصة في القطر الشمالي من اليمن بين قبائل حاشد وبكيل -أبناء همدان بن زيد- الذين طال اختلافهم وقتالهم فيما بينهم، فعَمِلَ بكل جهده على حل مشاكلهم وقضاياهم، وسعى في إصلاح ذات بينهم بالحكمة والموعظة الحسنة وبالوسائل اللينة، وبدون أيّ مقابل، وإنّما لوجه الله وابتغاء مرضاته.

وكم له رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذلك من أيادٍ كريمةٍ، ومقاماتٍ حسنةٍ نبيلة، ومع هذا كانت له نفسٌ طيبةٌ، وهمةٌ عاليةٌ في إصلاح ذات البين، ورحمةٌ مطلقة بالعباد، وكأنّهم أبناؤه أو أقاربه، وليس هذا مبالغة في

حقه، وإنّما هو الحقُّ، والله المطّلع على ذلك، وقد كنا نتعجب من همته العالية، وحرصه الشديد على الإصلاح بين الناس، فلا تحصل مشكلةٌ إلَّا ذهب بنفسه لحلها، وأصلحها بفضل الله وعونه، وبذلك أوصى أولاده في وصيته بالإصلاح بين الناس.

لهذا.. كان يطوف البلدان، ويسعى بنفسه في القرى والأمصار، فلا يسمع بمشكلة تحصل صغيرة كانت أو كبيرة، في بلدٍ قريبٍ أو بعيدٍ سواء بين قبيلتين متحاربتين، أو شخصين متخاصمين، أو حتى على أبسط قضية تقع بين رجل وامرأته إلَّا سعى في حلها بنفسه، ولو سافر لأجلها أياماً، وكان يذهب بسيارته إلى البلدان، ويقوم بتمويلها بما تحتاجه من بترول وغيره على حسابه الخاص، وليس له من أيّ أحدٍ لا جزاء ولا شكورا، ولا حتى من الأطراف المتنازعة، فلا يأخذ شيئاً من أيّ طرف، وإنّما يعمل ذلك لله والدار الآخرة.

أخلصت في نفع العباد ونصحهم ... لا لم يجد فيك التواني مربضا
خضت البلاد جبالها وسهولها ... ما زلت في مسعاك هذا ريضا

لذلك.. كلّل الله عمله بالتوفيق، وسعيه بالنجاح، مع أنه ليس له سلطة ولا قوة عليهم، وإنَّما تأييد الله وتوفيقه له؛ حيثُ أودع له في القلوب محبةً ورحمةً، مع استجابة الله لدعائه.

هذا.. وكما كان يطوف بالبلدان للإصلاح بين الناس وإخماد نار الفتن، كذلك كان يطوف في الأسواق العامة -التي هي على مدار الأسبوع مثل: سوق الجمعة بقفلة عِذر، والسبت بالعَشّة، وسوق الأحد بالبُطَنة، والإثنين بالسُّكَيبات، والخميس بالعُصيمَات.. إلخ، وذلك حسب ظروف وبلدان القبائل- لاسيما في الأشهر الحرم، وكذلك في شهر رمضان، مُظْهِراً بصوته أمام الناس فضل هذه الأشهر وحُرمتها عند الله، وتحريم الظلم والقتال وقطع الطريق المسبّلة على الناس فيها، ويذكرهم بالله ويحذرهم من عقابه، ويحثهم على التراحم والتآخي، ثم يدعو الله للمسلمين بالخير والرحمة ونزول الأمطار والبركات على العباد، ولمن استجاب لدعوة الله ورعى حرمة الله، وحرمة عباده، لاسيما في هذه الأشهر الحرم، وكذلك كان يدعو على من خالف وعصى الله فيها وظلم عباده بالعقاب، وأن يعجّل الله عقوبته عليه، فيخاف الناس من دعوته وينزجرون حتى العصاة العتاة الذين يقطعون الطريق ويخيفون السبيل على المسافرين الآمنين، وما ذاك إلَّا لعلمهم بفضله، واستجابة الله لدعائه، كما ذلك مجرّبٌ ومعروف لديهم، ومعلومٌ عند الناس جميعا، أنّها لا تُرَدُّ له بفضل الله دعوة.

وضع الناس من الفتن

كان وضع الناس مُؤلماً للغاية، وحالهم يرثى له، وذلك لكثرة مشاكلهم، وحروبهم، واختلافهم فيما بينهم، ولا يوجد من يتألم على حال الناس، وعلى حال الضعفاء والمساكين، ويطفئ نار الفتن، ويُؤَمِّن السبيل إلَّا من رحم الله من الخلق، وقليلٌ ما هم، ومنهم صاحب هذه السيرة المباركة: الوالد العالم العابد/ عبد الله بن أحسن المتوكل طيب الله ثراه، أمَّا الدولة حينها فقد تركت الحبل على غاربه وتركت القبائل تموج بعضها في بعض بالفتن والحروب والمشاكل وقطع الطريق ولا تحرِّك ساكناً، ولا تحل شيئاً من مشاكل الناس إلَّا إذا كان شيئاً يهمها أو يهم مصلحتها.

هذا.. وكانت تتزايدُ المشاكلُ والفتن والحروب بين القبائل سواء فيما بينهم البين مع بعضهم البعض أو مع غيرهم، لاسيما قبائل حاشد وبكيل، منهم: قبائل عذر، والعصيمات، والأهنوم، وحَجُور، وسفيَان وغيرهم الذين مشاكلهم كثيرة، فهم في اختلافٍ وقتالٍ مستمر، فطرقهم مخوفة يوجد فيها القطاع والقتل والنهب على المسافرين كما ذلك معروف من حالهم، وبالأخص النزاع والصراع بين قبائل عذر، والعصيمات؛ حيثُ بلغ بينهم القتل بالمئات، وذلك

باختلافهم على بعض القضايا من ذلك: اختلافهم على منطقة الهَيجة -بين قَفلة عذر والعشة- فالكل يريد أن يأخذها له ويستولي عليها لخصبة أرضها الزراعية، -مع أنهم جميعا يحتاجون لبرهان، والذي يظهر أنها مِلكُ بيت حميدالدين للحسن بن يحيى، كما يحكي الناس ذلك والله أعلم- ولا زالوا كذلك حتى فَرَّجَ الله تعالى بفرجه واقتنع كلُ طرفٍ من نفسه، لكنهم لم يعقلوا إلَّا بعد حوالي ثمان سنوات من الحروب المريرة ومئات القتلى، وهذا فيما يخص القبيلتين الكبيرتين قبيلة عذر، والعصيمات، وأمَّا فيما يخص كل قبيلة بنفسها داخلياً أي: داخل قبيلة عذر نفسها، أو داخل قبيلة العصيمات فكل قبيلة تنشب فيها المشاكل والحروب والفتن والقتل والقتال، وقطع الطريق المسبلة وإخافة المسافرين على أدنى مشكلة، فلا تكاد الأمورُ تستمر أسبوعاً أو شهراً أو أقل أو أكثر إلَّا وتحصل مشاكل داخلية في نفس القبيلة أو خارجية مع غيرها، وأقلّ مشكلة تحصل يقطعون بسببها الطريق المسبلة على المسافرين والضعفاء والمساكين، وربّما تطورت المشاكل فتنشب الحروب والفتن سواء في قبيلة عذر، أو العصيمات، أو غيرهما من قبائل الأهنوم، وحجور، وسفيان ..إلخ، فهم في نزاعٍ مستمر، وحروبٍ شديدة حصادها الكثير من الناس.

نعم.. هذا هو حال الناس ووضعهم، فهم في صراعٍ وحروبٍ مستمرة قبيلة تحارب قبيلة أخرى، وكم.. وكم نعدد من حروبٍ طاحنة بين قبائل عذر فيما بينهم، أو مع غيرهم، فمثلاً ذو قاسم فيما بينهم البين، أو مع غيرهم، وكذلك بني عرجلة فيما بينهم أو مع غيرهم من ذو غيثان وغيرهم، وكذلك أيضاً ذو غيثان فيما بينهم أو مع غيرهم والتي كانت مشاكلهم وحروبهم باستمرار فهؤلاءِ قبائل عذر فيما بينهم مع بعضهم البعض، أو مع غيرهم من العصيمات؛ حيث كانوا يتقاتلون على أيّ قضية تحدث، فهم في حروب طاحنة حصادها عشرات البشر، سواء على مشكلة، أو على أرضٍ كما مرّ، أو غير ذلك.

وكذلك قبائل العصيمات فيما بينهم مع بعضهم البعض، أو مع غيرهم من قبائل عذر وغيرهم إلَّا أنهم كانوا أخف مشاكل من عذر، وكذلك بين العصيمات أهل السواد فيما بينهم أو مع أهل سفيان.

وكذلك قبائل الأهنوم فيما بينهم أو مع أهل ظليمة أو مع غيرهم.

وكذلك قبائل سفيان فيما بينهم، أو مع العصيمات أهل السواد، أو سفيان ذوصميم مع العصيمات ذوخيران.

وكم.. من أمورٍ مؤسفةٍ، وأحداثٍ مؤلمةٍ تتفطر لها القلوب.

هذا.. وقد أخبرنا بنفسه والدنا المرحوم عبدالله بن أحسن المتوكل أنه ممن رسم حدود سفيان مع العصيبات، وكان هو وكوكبة من العلماء منهم: السيد العالم الزاهد/ زيد بن علي الغماري، والسيد العالم الفاضل/ محمد الكوكباني وغيرهم، لا أتذكرهم الآن وكان يستحيي من إخوانه العلماء؛ لما يرى من احترام الناس وتعظيمهم له، فهو لا يرى لنفسه قدراً، لكنّ الله تعالى جعل له قبولاً ومحبةً في قلوب العباد.

وهكذا.. كانت تنشب الحروب الطاحنة ويُقتل فيها الكثير من الناس، أمَّا قطع الطريق فقد اتخذوها عادةً فيما بينهم، كما يسمّونه حَوْرٌ وحِوَار، وقد سمعنا بعض عُقّالهم يقول: القطاع سُنَّة، أي: أنّه جائزٌ، بمعنى أنّه أخفّ من القتل فيجوز لهم ذلك، هذا لسان حالهم.

هذا.. وكان طريق الأهنوم من بلاد عذر، وكانوا يتسلطون عليهم ويقطعون عليهم الطريق؛ لذلك تسلطت قبائل العصيبات على قبائل عذر، فكان لا يمشي أحدٌ لا ذاهبا ولا راجعا، ولا كبير قبيلة ولا صغيرها إلَّا تقطع له العصيبات، وكادَتْ الدنيا أن تكون دارَ جزاء؛ لهذا أصبحنا في يومٍ من الأيام وبعض قبائل عذر يشكون تسلط قبائل العصيبات عليهم، حيث لا يستطيع أحدٌ أن يسافر من العشة بلاد العصيبات إلَّا ويتقطعون له ويأخذون سيارته فقلنا لهم:

لابُدّ أن يفرّجَ الله على الناس مع أن الأهنوم قد ظُلموا في بلاد عذر كثيراً، ولم يستنكر ويتألم لذلك إلَّا من رحم الله. وفعلاً فرج الله.

هذا.. ولا أنسى ولا أتناسى ذات مرةٍ في سنة ٢٠٠٠م تقريباً، وذلك كما بلغنا أنَّ رجلاً مسافراً من الأهنوم، وهو مُسعف لزوجته من عُسر الولادة تقطع له بعض المتقطعين من عِذَر في منطقة الغارب خارج قفلة عذر، وأرادوا أخذ سيارته بالقوة فحصل بينهم أخذٌ ورَدٌّ حتى وصل الحال بالمتقطعين أن قتلوا الرجل، إنّا لله وإنّا إليه راجعون ولا حولَ ولا قوةَ إلا بالله، وكم.. هنالك من أحداثٍ مفجعة، ومآسي مؤلمة محزنة، يا لَلَّهِ لِلْمُسلِمِينَ.

هذا.. وكم نُعدد من أحداثٍ وقضايا ظُلم فيها الأبرياء، وحروبٍ طاحنة ساخنة يندى لها الجبين، وتتفطر لها الأكباد، وتحزن لها القلوب لقتل الأبرياء فكم.. قُتل من الخلق، وكم يُتِّمَ من أطفالٍ، ورُمّلت من نساء، وهُتكت من أعراض ظُلِمَ فيها الضعفاء والمساكين، ولا حول ولا قوّة إلا بالله، ومع كل تلك الأحداث الأليمة إلَّا أنَّ الله سبحانه شمل عباده بلطفه ورحمته، فقيّضَ لهذه الأُمّة من عباده الصالحين من يردّها إلى رشدها وصوابها، ويحل مشاكلها، ويصلح شأنها، ويأمرهم بالمعروف، وينهاهم المنكر،

وذلك حيّ سيدنا ووالدنا العالم التقي/ عبدالله بن أحسن المتوكل رحمه الله رحمة الأبرار، وأسكنه فسيح جناته، وألحقه بسلفه الأخيار في جنات عدنٍ عند مليك مقتدر، الذي كرَّس جهدَه وحياته، وفرغ نفسَه ووقته، وافنى عمرَه وشبابه في إصلاح شأن المسلمين بإصلاح ذات بينهم، وفكّ خصوماتهم، وتأمين سُبلهم، وحل مشاكلهم، فيحلها بعون الله وتوفيقه، ويحقن الدماء، ويسكن الدهماء، ويخمد نار الفتن، ويطفئ لهيبها، ما استطاع لذلك سبيلاً، وكل ذلك بفضل الله وعونه، وتأييده وإكرامه له، حيثُ أكرمه بكراماتٍ عديدة من ذلك الإصلاح بين الناس، فسبحان من وفقه لذلك، وجعل على يديه صلاح أحوالهم بفضله سبحانه ومنِّه، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده الصالحين.

ومن ذلك أيضاً: استجابة الله لدعائه، فلا يدعو بأحدٍ من الناس، أو بأحدٍ من المتخاصمين إذا أعتدى وظلم إلَّا أهلكه الله بيومه، كما هو معروف، وسيأتي ذكره إن شاء الله.

وهذا إن دلَّ على شيءٍ فإنَّما يدل على إخلاصه لله وتقواه وصلته ومعرفته بالله جلّ وعلا، وحبه لثوابه وابتغاء مرضاته؛ لهذا أكرمه الله باستجابة دعائه، ووفقه للإصلاح بين الناس فكان يحل القضايا

الكبيرة من قضايا الحروب والفتن، والتي كان يعجز عن حلها، وفك حِلَقِ أقفالها الكثيرُ من الخلق؛ بل ربّما عجزت الدولة في كثير من الأحيان عن فَكّ القطاعات وتأمين الطرقات وتوقيف تلك الحروب التي كانت تنشب بين القبائل من حين لآخر، ولهذا كانت ترجع إليه عندما تحتاجه لحل مشكلة ما، أو قضية من القضايا بين الناس.

وقد اخبرني بنفسه رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه ذات مرةٍ كان مريضاً في مستشفى الثورة بصنعاء حيثُ قرّر له الأطباء إجراء عملية باطنية، وقد رُقِّدَ في غرفة الرقود لإجراء العملية، فاحتاجت إليه الدولة لحل مشكلة كبيرة حصلت بين قبيلتي عذر، والعصيمات، وأرسلت إليه ببعض الوجهاء والمشايخ من قبائل حاشدٍ، ومن كبار رجال الدولة وأخبروه بتفاقم المشاكل وشدتها بين قبائل عذر، والعصيمات، وربّما تطورت الأحداثُ فيحصل ما لا يُحمد عقباه من سفك الدماء ..إلخ، وقد عجز الجميع عن حل تلك المشكلة، وترجّوه بأن يؤجّل العملية ويذهب معهم لحلها، وأوعدوه بإرجاعه للمستشفى -لكنهم نسوا ما وعدوه بعد حل المشكلة- وفعلاً ساعدهم وخرج معهم من المستشفى لحل تلك المشكلة فأكرمه الله بحلها، وكلّل عمله بالتوفيق، وسعيه بالإصلاح والنجاح، وكل ذلك بفضل الله تعالى وعونه.

وكم.. له رضوان الله عليه، من مواقفَ عظيمة في الإصلاح بين الناس ابتغاء مرضات الله والدار الآخرة، وهكذا كان دأبه وديدنه السعي والمسارعة إلى الخيرات بإصلاح ذات البين، وكم من مواقفَ له في ذلك، وسنذكر قريباً بعض مواقفه الكريمة إن شاء الله.

ولهذا.. وفقه الله تعالى لحل مشاكلهم، وإصلاح أحوالهم فحظي بتوفيق الله وعونه، ولطفه وتسديده، وكان كل الأطراف المتنازعة والقبائل المتخاصمة يرضون بصلحه، ويثقون بعدله؛ لعلمهم أنه لا يجامل أيَّ طرف، وأنه لا يقول إلَّا الحق والعدل.

وهذه كرامةٌ من الله له ونعمة عظيمة لمّا علم سبحانه صدق نيته وإخلاصه وفقه لذلك، وأجرى على يديه صلاح البلاد والعباد، وجعل له مودةً في قلوبهم، وثقةً مطلقة بأنه لا يقول إلَّا الحق، فيقبلون منه مع علمهم بورعه وتقواه، وأن الله سبحانه لا يُخيّب رجاءه ودعاءه؛ لهذا كانوا لا يقدمون على مخالفته حينما يصلح بينهم خوفا من دعائه، وإذا حصلت مخالفة من بعض الناس دعا الله عليهم بعد أن يعظهم وينذرهم عقاب الله، فلا يلبث من دعا عليه إلَّا قليلاً حتى يعاجله الله بالعقوبة؛ بل لا يذهب ذلك اليوم إلَّا وقد أهلكه الله بسبب دعوته عليهم، كما ذلك معلومٌ عند الناس جميعا.

ذكر بعض مواقفه الكريمة

وكما أسلفنا بأنا سوف نذكر بعض مواقفه الكريمة في الإصلاح بين الناس، وحرصه الشديد على إصلاح ذات بينهم، ها نحن نذكر بعضاً منها، مع أنّ له مواقفَ كثيرة لو استقصيناها لطال بنا المقام، فكم.. وكم.. له من مواقفَ عظيمة، وهمةٍ عالية رفيعة، في الإصلاح بين الناس.

منها: هذه الحادثة التي أرويها حيثُ كنتُ في تلك الحادثة بتوفيق الله تعالى معه وملازماً له وفي خدمته وطاعته، وكنّا حينها في شهر رمضان الكريم سنة ١٤٢٤ هـ تقريباً، وذلك أنه حصلَ قطاعٌ كبيرٌ للطريق المسبّلة من قِبَل قبيلتي عذر، والعصيمات، بسبب مشاكلهم المستمرة فيما بينهم، كما هو دأبهم فإنّهم يلجئون إلى قطع الطريق المسبلة عند حصول أيّ مشكلة ما، إلّا أنّ هذه المرة لم تكن حسب عادتهم، حيثُ كثرت المشاكل، وكبر القطاع وبلغ مبلغه، حتى أنه لم يستطع أحدٌ أن يسافر بسيارته إلَّا وتقطعوا له وأخذوها عليه كائناً من كان سواء كان من الطرفين أو من غيرهم واشتدت الأمور جداً، وبلغت ذروتها وما أن عَلِم بذلك الوالد/ عبد الله بن أحسن المتوكل حتى تألّمَ لحال الناس بسبب ما هم فيه، وكيف أصبح حالهم، مع أنه

كان مريضاً على الفراش وقد كبر سنه حيثُ قارب عمره ثمانين سنة، وبينما نحن في حال السحور لصيام شهر رمضان قال لأحد أولاده: قد بلغني قطع الطريق المسبلة من قِبَل عذر والعصيات ولا يستطيع أحدٌ أن يسافر بسيارته إلَّا أخذوها عليه، سواء كان ضعيفاً أو قوياً، وأريد بعون الله أن أفكّ هذا القطاع، وأُصْلِح شأن المسلمين حتى يأمن الناس على سيّاراتهم، والضعفاء والمساكين على أنفسهم، فقال له ولده رحمة به لما هو فيه من المرض: يا أبتِ إنّك مريضٌ ومتعبٌ جداً وصحتك تهمنا، وسيفرج الله على الناس فانتظر حتى يشفيك الله فتذهب لفك القطاع وللإصلاح بين الناس، فنظر إليه بعين تعجب واستغراب قائلاً له: يا ولدي أيهنانا في هذا الشهر الكريم أن نجلس في بيوتنا آمنين والناس على سياراتهم وأموالهم خائفين لا يستطيعون السفر حتى الضعفاء والمساكين، وتلى قولَ الله تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء:١١٤] وبعد ذلك قال: سأذهب غداً إن شاء الله لفك القطاع بعون الله تعالى وتوفيقه، وفعلاً ما إن صلينا الظهر في ذلك اليوم من شهر رمضان وخفت حرارة الشمس

حتى قام بمرضه وتعبه مع كبر سنه، وكنا نمسكه اثنين من الرجال حتى وضعناه في السيارة، فاستغرب صاحب السيارة لما هو فيه من المرض وكبر سنه فقال له: هل في الإصلاح ثواب؟.. فأجابه بأن الله تعالى يقول: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ فلمّا وصلنا بلاد العصيمات عند أحد المشائخ من ذوفيشي، وحينما رآه مريضاً متعباً، ونحن نحمله اثنين من السيارة قال له: اترك أبناء عذر والعصيمات للجن أو لحقّ إبهر(١) مشاكلهم كثيرة لا تنقطع، صُم لك وارتاح أنت مريض فاتركهم، فنظر إليه نظرةَ مستنكرٍ متألمٍ قائلاً له: تقل هذا الكلام بكلك يا فلان ما يقول الله لنا إن تركنا الضعفاء والمساكين تُقطع الطريق عليهم، والنبي ﷺ يقول: ((من لم يهتم بأمور المسلمين فليس منهم)) بعون الله تعالى سنفك هذا القطاع، وفعلاً وفقه الله تعالى، وكلّل عمله بالتوفيق وسعيه بالإصلاح والنجاح.

له همٌّ لا منتهى لكبارها وهمته الصغرى أجل من الدهر

هذا وفي ذهني أنه لم يذهب وقت صلاة العشاء حتى عادت لكل شخصٍ سيارته من كلا الطرفين العذري والعصيمي، مع أني لم أرَ،

(١) جبل فوق سوق قفلة عذر، من جهة الغرب.

ولم أشاهدْ في حياتي كلّها مثل ذلك القطاع وشدته حيثُ لم يستطع أحدٌ من كلا القبيلتين وغيرهم أن يسافر بسيارته إلَّا وأخذوها عليه؛ بل لم يَسْلم حتى الضعفاء والمساكين من ذلك القطاع لكن وفقه الله تعالى، وفَكّ ذلك القطاع مع شدته، وأمَّنَ طُرقَهم، وحلَّ مشاكلهم، ولله الحمد على عونه وتأييده له، ثمَّ رجعنا إلى بيوتنا ووجهه متهللٌ مستبشرٌ مرتاحٌ لذلك مع ما هو فيه من المرض والتعب وكبر سنه إلَّا أن وجهه كان فرِحاً مسروراً لتوفيق الله له، وإعانته لإصلاح شأن المسلمين، وتأليف قلوبهم على يديه بإصلاح ذات بينهم، وتأمين سُبلهم، وردّ سياراتهم وحقوقهم، فسلامُ الله عليه يوم وُلِدَ، ويوم ماتَ، ويوم يُبعثُ حيا، كم.. من كَرْبٍ فرّجه، وكم من همٍّ أزاله، وكم.. من مشكلةٍ حلها، وقضيةٍ أصلحها، وقطاعاتٍ فَكّها، وحروبٍ أطفأ نار لهيبها، وفِتنٍ أخمد أنفاس أشرارها.

كم فك من كُرَبٍ عنَّا ومن نوبٍ كادت تقد من الأشجان أشجانا
سلْ عنه من شئتَ من بدوٍ ومن حظرٍ سل حاشداً وبكيلا ثم سفيانا

وكم.. وكم.. نذكر ونعدد من مشاكل وقضايا حلها، وأمور أصلحها، وإنّما هذه قطرةٌ من مطرة، ومجةٌ من لجة، ولو أرخى القلمُ زمام عِنانه في تعداد مكارم أخلاقه العطرة، وفضائل حياته المباركة،

وقيامه واهتمامه بالإرشاد بالأمر بالمعروف، والنهي عن الفساد، وسعيه بالإصلاح بين العباد، وما حلّ من القضايا؛ لاحتجنا إلى مجلداتٍ عديدة، وأوقاتٍ مديدة، ولطال بنا المقام، وهل يحتاج ضوء الشمس إلى بيان، أو يخفى ضوئها على ذوي الألباب، كيف يكون هذا وفقيدنا الراحل لا يختلف على فضله اثنان، ولا يشق عليه غبار، وما أشبهه بقول القائل:

إذا كان فضلُ المرءِ في الناس ظاهراً ... فليس بمحتاجٍ إلى كثرةِ الوَصــف
ألم ترَ نور الشمس في الأفق بادياً ... غنياً عن الوصف المرصع بالرصف

ولله القائل:

بيت مكارمه في الصلح راجحةٌ ... فما تراه على الهمّات مضــطربا

هذا.. وإنما ذكرنا بعض تلك المواقف من حياته العطرة، وسيرته المباركة، تأسياً بأخلاقه، واقتداءً بأعماله، وسيراً على منهاجه، والتماساً لبركات أنواره، واهتداءً بهدايته، وتذكيراً للمتذكر، وتعريفاً لمن يأتي من الناس الذين لم يعرفوه؛ ليكون لهم قدوة في أفعالهم، وأسوة في حياتهم بإصلاح شأن المسلمين، وطاعة رب العالمين، وطلباً لثواب الله وفضله، وصِلة وبِراً بوالدنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ولعلَّ وعسى أن يرزقنا الله من بركات أعماله الصالحة، وأنوار هدايته المباركة، وكراماته النيرة، ما نسعد به في الدنيا والآخرة.

تواضعه وأخلاقه

كان رضوان الله عليه متحلياً بمكارم الأخلاق، وحسن التواضع ولم يكن يتكلف لذلك؛ بل إنَّها سجيته وديدنه كما هو المعروف من حاله، فشيمته التواضع، وحليته الأخلاق العالية، فلم ترَ قطُّ عيني مثلَه في أخلاقه ولين جانبه وتواضعه للمؤمنين سوى علمائنا الأعلام رضوان الله عليهم أجمعين.

لقد عشت ميمون النقية ناصحا ... لرب السماء في مكسب الحمد ساعيا
مكارم ذكراها يزين ونظمها ... يروق من الأسماع ما كان واعيا
فحزت وأحرزت المحاسن كلها ... فمن فرط تهذيب عدمت المساويا

فكان رحيماً بالناس، ليّن الجانب، فإذا ما التقى بالناس، أو بأيّ إنسانٍ ما، تراه يسأل عن أحوالهم، وأحوال أهلهم، وأولادهم، وعشيرتهم، ويسأل عن فلان وفلان، وكيف حال فلان وفلان، ويتفقد أحوالهم ويسأل عنها، وكأنهم يعنونه بل كأنَّهم أهله وأولاده أو أقاربه وأرحامه، فتراه يسأل عنهم ويثني عليهم، ويغدق عليهم الدعاء بالرحمة وسقي أوطانهم، وصلاح أمورهم وشؤونهم، ويقرئهم سلامه وتحياته وأن يبلغوها أهاليهم، ويوصيهم بتقوى الله والمحافظة على الصلوات وأداء الواجبات، وكان يختم حديثه بقوله: نتواصى بالدعاء وتقوى الله العظيم، وسلام الله عليكم ورحمته وبركاته.

وأذكر ذات مرةٍ دخلنا مسجد الشوعي بالسكيبات، والتقينا بالحاج زايد الشوعي، وهو من أهل الخير المحافظين على الصلوات، وأثناء الحديث معه قال: إنّ والدكم سيدي عبد الله بن أحسن المتوكل قال: كن ادع لنا يا حاج زايد، فقلت كيف أدعي لسيدي عبد الله وهو ذلك الرجل العالم العابد، الذي كلّما دعا الله سبحانه استجاب له دعوته.

وهذا.. إن دلَّ على شيء فإنّما يدل على تواضعه لله ولعباده، فسبحان من رزقه التواضع ومكارم الأخلاق، ولا عجب فهو من نسل الأنبياء والأوصياء والنجباء والأتقياء والأولياء الصالحين، من تلك الشجرة المباركة تُؤتي أُكُلَها كلَّ حينٍ بإذن ربها.

سهل الخليقة لا تخشى بوادره ... يزينه اثنان حسن الخلق والشيم
عمَّ البرية بالإحسان فانقشعت ... عنها الغياهب والإملاق والعدم
مشتقة من رسول الله نبعته ... طابت مغارسه والخيم والشيم
إن عُدَّ أهل التقى كانوا أئمتهم ... أو قيل من خير أهل الأرض قيل هُمُ

*****

ورعه وتقواه لله تعالى

كان ذا ورعٍ شديد، وتقوى لله عظيم، وخوف وخشية من الله سبحانه، يعظم ما عظم الله تعالى، فيعظم كتابه وأوليائه متورعا عن محارم الله لم ينتهك لله محرماً، ولم يُعلم عنه معصية، منذُ نعومة أظفاره وحداثة سنه وشبابه؛ بل عُرِفَ بالصلاح والتقوى، وملازمته للعلم والعبادة والطاعة لله بتأدية فرائضه من إقامة الصلوات الخمس في أوقاتها جماعة، مع قيام الليل قبل الفجر بساعة ونصف تقريباً يقوم بين يدي الله يدعوه ويناجيه ويطلبه الرحمة والمغفرة وحسن الختام؛ لذلك رفع الله قدره، وأعلى جاهه، وأكرمه وحباه بالقبول، وحبّبه إلى قلوب عباده، فلا يُذكر عند ملأٍ إلَّا ذكروه بخيرٍ، وأثنوا عليه بالصفات الحميدة، والخصال الطيبة، والسمات النبيلة؛ لهذا توسّموا فيه الخير والصلاح منذ صغره فكان والده يرى فيه سيما الصالحين، ويقول للناس: هذا مهديكم، هذا مهدي زمانه.

وقد شهدت له زوجته التقية المؤمنة الطاهرة العفيفة أم أولاده الأربعة الشريفة/ فاطمة بنت نجم الدين بأنّها لم تعرفه منذُ أن دخلت عليه وهو في أنعم شبابه إلَّا وهو متحلٍ بتقوى الله وطاعته محافظا على الصلوات ومسارعا إلى فعل الخيرات بالإضافة إلى برّه وطاعته لأمه.

وقد عرفه وشهد له أهلُ زمانه، وعلماء عصره بالخير والصلاح، والورع والتقوى، وحسن الخُلُق والتواضع، مع قيامه واهتمامه بالإصلاح بين العباد، والنهي عن الفساد، فيحل مشاكلهم، ويُؤمِّن طرقهم، ويحقن دمائهم، ويطفئ نار الحروب التي كانت تنشب بين القبائل من حين لآخر، فيحلها ويصلح أحوالهم بفضل الله وعونه.

ولله القائل:

وما زالت محمود السجايا محبّباً لكل البرايا لم نجد لك قاليا

هذا.. وقد حرر في شأنه القاضي أحمد بن أحمد بن عبدالحفيظ المحبشي الساكن في المحراب رسالةً سماها (المختصر المنقول تذكرة لذوي العقول في وجوب محبّة ومودة آل الرسول) (١) قال فيها: السيد العلامة عبد الله بن أحسن المتوكل الذي عُرِفَ ويعرِفُ كلُّ مؤمنٍ رآه وجالسه، وعرفَ سيرتَه، وعمله وورعه، وحسن خُلُقِهِ وتواضعه وسعيه بالإصلاح بين المؤمنين، واهتمامه وقيامه بالإرشاد، والنهي عن الفساد، وإخماد وإطفاء نار الفتن بالوسائل اللينة والموعظة الحسنة، إلى آخر كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وجزاه الله عن أهل بيت نبيه خير الجزاء.

(١) وهي رسالة مخطوطة بخط المؤلف القاضي أحمد المحبشي رحمه الله.

برّه وطاعته بأمه

كان بأُمّه برّاً مطيعاً، رؤوفاً رحيماً، لم نرَ أحداً في زمانه برَّ أُمّه مثل برِّه بها؛ لهذا فإنه بلغ في برّه بها، وحسن طاعتها، وتطييب خاطرها، والعناية بها، ومراعات عاطفتها، مبلغاً عظيماً، فكان بها باراً عطوفاً، حنوناً شفيقاً، لا يعصي لها أمراً، ولا يخالف لها قولاً؛ بل يلين جانبه، ويخفض لها جناح الذل من الرحمة بين يديها، فإذا ما نادته يا عبدَالله أجابها مسرعاً نحوها بقوله: حاضر يا أماه مرحبا مرحبا، لا يخالفها في شيء تريده، ولو كان في ذلك مشقة عليه، أو في ذلك عناء به، وهذا هو البرّ الحقيقي الذي أوصانا الله به في كتابه.

هذا.. وقد أخبرنا بعض الإخوان أنه كان إذا أراد أحدٌ منه شيئاً استشفعوا عند أُمّه، أو طلبوه من جهة أمه، فلا يَردّ لها طلباً، ولا يخالفها فيما تريد.

ما قال أُفٍ لأُمٍ لا؛ ولا أبدا ... ومن يرد حاجةً منهُ بها وصل
فطاعة الله في الآباء قد حملا ... وساير الناسَ بالأخلاق والنُبلِ

وأيضاً: أخبرنا بعض الأرحام في الأسرة الكريمة أنّ أُمّه كانت تغضب قليلاً ومع هذا كان بها برّاً مطيعا، لا يعصي لها قولاً أبداً، ولا يتأفف منها قطّ، ولا يتضجّر من حالها، أو يُقصّر في حقها

وطاعتها؛ بل كان كالرياح المرسلة -ببرّه لها وحنانه عليها- بين يديها يحوطها بعطفه وبرّه، ويشملها بخيره وكرمه، ومع هذا كانت رَحِمَهَا ٱللَّهُ سخيةً تعطفُ على الضعفاء والمساكين بأمواله وتجود عليهم من خيره وفضله، وتطعمهم وتكسيهم من حقه وماله، وهو راضٍ بذلك، فلا يرجع من عندها خائبٌ ولا محتاج ولا مسكين.

وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ حينما يذكر والديه يغدق عليهما بالدعاء والترحم، حتى تعجبنا من رحمته بوالديه رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ، ولهذا تعلمنا منه الرحمة والدعاء لوالدينا والعطف عليهما، ومع هذا لم ينس والديه من أعمال البر والإحسان، وقد أوصى بأحبّ أمواله في درس كتاب الله إلى روح والديه. (١)

هذا.. وقد عرفه الناس وشهدوا له في زمانه بالبرِّ، وأنّهم لم يبرّوا بأُمهاتهم مثل برّه بأُمّه؛ بل ولم نعرف في زماننا هذا أحداً أطاع أُمّه مثلما أطاعها به، أو مثل طاعته وبرِّه بها؛ فكان منقطع النظير ببرِّها، فهو بحقٍ وحيدُ عصره، ونسيج دهره، في برِّه وطاعته بأُمّه، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده الصالحين.

(١) أوصى -بدرس قرآن لروح والديه- بجربة الخيرة، ودحبان من أوطان صربان، وجعل تلك الوصية على أولاده الذكور الخمسة وذريتهم مع اشتراط العدالة والتقوى، والتحري في القراءة، ومن أحسَّ في نفسه ضعفاً في القراءة فلينقلها للحافظ من الذرية.

وقد بلغنا أن سيف الإسلام الحسن بن الامام يحيى رَحِمَهُمَاٱللَّهُ، أرسل له رسولاً بأن يأتي إليه فلم تأذن له أُمّه بالخروج، فأعتذر بأن أُمّه لم تأذن له، فأرسل له مرة ثانية فلم تأذن له، فأعتذر ثانية بأنها لم تأذن له، ثمَّ أتى سيف الإسلام بنفسه وقال له: طاعتك وبرّك بأُمّك جعلتنا نأتي إليك، فسبحان الله الذي وفقه لبرّها وأعانه على طاعتها، حيثُ رِضى الله في رضى الوالدين، والجنة تحت أقدام الأمهات.

هذا.. وكما كان باراً بها في حياتها كذلك برّها بعد مماتها، وقد عرفناه وشهدناه يصلي بمسجده بذ وصولان، ثمّ يخرج من المسجد بعد صلاة العشاء ويمر بقبرها، ويقف ليتلو عليها وِرداً من القرآن، وهكذا في كل ليلة وباستمرار طول حياته ومع كُل هذا البرّ والطاعة بها فقد أوصانا أن نقبره عند أقدام أُمّه، وأن نضع جهة رأسه من القبر عند رجليها تواضعاً لله تعالى ولوالدته، وإنّها لتأخذني العبرة وأنا أكتب هذه الحروف التي هي إن شاء الله حروفٌ من نورٍ لمن تنور بها، وعَمِلَ بمقتضاها، واقتدى وتأسى بأولياء الله المتقين، ونسأل الله أن يهب لنا من بركات برّه وأنوار هدايته ما نسعد به في الدنيا والأخرة، وأن يرزقنا الاقتداء والتأسي به في برِّنا بوالدينا، وأن يوفقنا لبرِّهما وطاعتهما والإحسان إليهما كما يحب ربنا ويرضا به عنا،

وأن يغفر لهما ويرحمهما كما ربونا صغاراً كما نسأله سبحانه أن يجزيهم عنّا أحسن الجزاء، ويرضا عنهما أحسن الرضا، وأن يختم لهما ولنا بالسعادة والحسنى، وأن يجمعنا بهم في الجنة بجوار نبينا محمد وآله، بحق الله وأسمائه.

هذا.. وقد سمعتُ سيدي وشيخي العالم الفاضل/ أحمد بن أحسن أبوعلي حفظه الله تعالى يقول: في حياة والدنا المرحوم/ عبدالله بن أحسن المتوكل، بأن طاعته لأُمّه، وتواضعه بوصيته أن يُقبر عند قدميها تبعث فينا روح التأسي والاقتداء به رحمة الله تغشاه، أو كما قال.

فقلتُ: يا سيّدي عندي وفي اعتقادي أن الذي رفع قدر الوالد/ عبدالله رَحِمَهُ ٱللَّهُ، -مع ما أكرمه الله بتلك الكرامات العظيمة من استجابة الله لدعائه وأجرى على يديه صلاح البلاد والعباد بإصلاح ذات بينهم- هو برّه وطاعته بوالدته، وذلك بعد طاعته لله وتقواه، وإخلاصه لله، وتعظيمه لكتابه وأوليائه، فسلامُ الله عليه يوم وُلِدَ، ويوم ماتَ، ويوم يُبعث حيا، ولِلهِ الْحَمدُ رَبِّ السَّماوَاتِ وَرَبِّ الأَرْضِ رَبِّ الْعَالِمِينَ.

*****

كراماته رضوان الله عليه

أمَّا كراماته فهي كثيرةٌ متعددة، أوشكت أن تبلغ مبلغاً عظيماً، وهي أشهر من نارٍ على علم عند كل من عرفه، لكن نذكر بعضاً منها، وإلَّا فذكرها يحتاج إلى وقتٍ كبير، منها:

ما أكرمه الله به ووفقه للإصلاح بين الناس بإصلاح ذات بينهم، وحقن دمائهم، وحل مشاكلهم، وتأمين سُبلهم، فكان يكرمه الله بحل القضايا الكبيرة، والمشاكل المعقدة من قضايا القتل والحروب والفتن في أسرع وقتٍ مهما كانت تلك القضايا وكيفما تكون، والتي كان يعجز عن حلها الكثيرُ والكثيرُ.. من الناس، فكان يأتي فيحلها بفضل الله وعونه، فسبحان من وفقه لذلك، وألّف قلوب العباد على يديه بإصلاح ذات بينهم، وهذا مع ما حباه الله سبحانه بالمحبة والقبول بين الناس، فرفع قدره، وأعلى جاهه بين الأنام، حتى طار ذكره في الآفاق، وملأ صيته الفيافي والقفار، واشتهر اشتهار النهار، وتوضح وضوح الشمس والأقمار، فلا يختلف على فضله وكراماته اثنان، ففضائله ظاهرة، وكراماته مشهورة بيّنة، فهي أوضح من المصباح، وأبين من فلق الصباح، لا تفتقر إلى الخط بقلم؛ لأنَّها أشهرُ من نارٍ على علم، وإذا أردت معرفة ذلك فاسأل الناس عنه،

سواء الخاصة منهم أو العامة فهم يعرفون فضله وكراماته، ولو سُئل أحدُهم عن السيد العالم العابد التقي/ عبدالله بن أحسن المتوكل يجيب بأنه ليس هناك رجلٌ مثله في الفضل والتقوى والزهد والعبادة، ويقول معبراً بلسان حاله ولهجته ذلك السيد هو آخر السادة باقي أهل الفضل والتقوى.

سَل عنه أخبِر به أنظُر إليه تجِد ملئَ المَسَامع والأفواه والبَصر

لهذا.. فإن فضائلَه وكراماته ظاهرةٌ كظهور الشمس على الأنام، وقد عرفها الخاص والعام.

تقيٌ تحلّى بالســـناء وبالنُّهى فناهيك من شخصٍ له الله رافع

ولله درُّ القائل:

سيذكرُني قومي إذا جدّ جدهم وفي الليلة الظلماء يُفتقدُ البدر

ومنها أيضا: كما أخبرنا بعض الثقات، قال: كنا حجاجاً برفقة الوالد عبدالله ومعنا أشخاص من البلاد، وبينما نحن في منى دخلنا مسجداً صغيراً فانطفئ سراج المسجد فإذا بنور قد أضاء المسجد، والحمدالله.

يامن كراماته كالشّهب لامِعة في علمك النبوي نوّاحة طربا

يا خاتم العلماء عدلاً ومعرفةً يا منبع الغرباء يا منجع الأدباء

كرامة استجابة الدعاء

ومن كراماته رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما ظهرَ وذاعَ، واشتهرَ وشاعَ على البادين والحُضّار، ورواة الثقات ممن عرفه أنه كان مستجاب الدعاء لا يدعو الله على شيء إلّا استجاب له من ساعته، ومن ذلك ما أخبرنا بنفسه عندما كان في بلاد المشرق من جهة صعدة -وذلك في بداية أمره حينما كان معيناً أيام الثورة على مجموعة من الناس من قبل سيف الإسلام الحسن بن يحيى حميدالدين - فاختلف أحدُ عُقّالهم مع أصحابه ثم حلّفه، فدعا الله عليه إن كان فجرَ أن الله يجعلها ما تغرب إلّا في رأسه، فلم تغرب شمس ذلك اليوم حتى أُصيبَ ذلك الرجل بطلقة في رأسه، وعرف الناس أن هذه المصيبة بسبب دعوته عليه، فأتوا إليه وتسامحوا منه، وطلبوا العذر والعفو للرجل، فسامحهم وعفا عنهم، وشفا الله تعالى ذلك الرجل بعد أن عفا عنه، وكانت تلك الحادثة عظة وعبرة للآخرين، حتى أن جماعة ذلك الرجل كانوا يأتون إليه ويقولون له: يا سيدي عبدالله إذا حدَثَ من أحدنا شيءٌ فأرسل لنا نأتي إليك ولا تدعي علينا، وذلك لما رأوا من بركات فضله، واستجابة الله لدعائه.

ومنها: ما أخبرنا بعض الثقات أنه أتى مصلحاً، فقام فأخذ العلب عمامته، فدعا عليه أن تيبس عروقه، فنزل عليه برقٌ ويبس ذلك العلب بسبب دعوته.

هذا.. ولمعرفة الناس بفضله، وعلمهم باستجابة الله لدعائه كانوا يأتون إليه لحل أمورهم، ويطلبون منه الدعاء لقضاء حوائجهم، وصلاح شؤونهم، فيقضيها الله لهم ببركة دعائه.

ومن ذلك أيضاً: ما عرفناه وعرفه الخاص والعام ممن عرفه وعرف أحواله، أن من خالفه أو نقض صلحه ودعا عليه عاجله الله بالعقوبة العاجلة بيومه؛ بل لا تغيب شمس ذلك اليوم إلَّا وقد أهلكه الله تعالىٰ، كما ذلك معروفٌ، وعند الناس مشهورٌ لا ينكره إلَّا معاندٌ، ولفضل أهل الحق جاحدٌ. وقد سمعنا مرات عديدة من بعض الناس أنه كان يخاف من دعوته أعظم من السلاح.

هذا.. وأذكر بعض المواقف والحوادث التي حصلت وأنا أشاهدها، وذلك أنه ذات مرةٍ سمعنا رماية من جهة القِبلة ما بين بيوتنا والخضيرات، فخرجنا من بيوتنا مع الوالد عبدالله، فإذا بأُناسٍ من بعض قبائل عذر من ذو بوقشة كانوا يترامون مع العصيمات، وذلك أيام الحجة الأخيرة بينهم وبين العصيمات، فناداهم الوالد عبد الله يا عبادَ الله، يا عبادَ الله اتقوا الله، وهو يرفع بعصاه نحوهم، فلما رأوه استحوا منه وأوقفوا الرماية، ورجعوا من حيثُ أتوا – ولسان حالهم سنوقف الرماية ونذهب لكن لا تدعي علينا– وفي صباح اليوم الثاني أقبل بعض أهاليهم يعتذرون إليه، طالبين منه الصفح، وألّا يدعو على أبنائهم، وما ذاك إلّا لمعرفتهم بإجابة الله لدعائه، وأنّ من خالفه ودعا عليه عاجله الله بالنقمة العاجلة بيومه.

قصة الرجل مع أهله

ومن كراماته أيضاً: ما بلغنا أنه دعا على رجل من أهل الشط كان يعتدي على أهله فعجّل الله عقوبته عليه فهلك، وسبب ذلك أنه كان يضرب زوجته فلجأت بالوالد عبدالله وامتنعت من الرجوع لزوجها فردّها له، ودعا الله عليه إذا عاد واعتدى بالضرب عليها أن يجعل الله له علةً في يده لا يلقى لها علاجاً، فاعتدى ثانية فحصلت له علةٌ في يده، كان يصيح منها حتى مات.

عقوبة من نقض الصلح

ومنها أيضاً: ما بلغنا أنه أصلح بين قبيلتي عذر، والعصيمات، أيام الحجة الأولى بينهم، ودعا على من نقض الصلح أن يجعلها الله في رأسه، فنقضه أحد الأطراف من عذر، ثم ذهب هذا الرجل لسوق القفلة وقت الظهر للغداء، وقبل أن يأكل طارت له رصاصة رشّاش في رأسه، وسال دمه بين المرق، وعرف الناس أن الدعوة قد أصابته بسبب نقضه للصلح.

ومن ذلك أيضاً: كما بلغنا أنه أصلح بين عذر، والعصيمات، ومكث شهراً يتتبع كل الأطراف على توقيع الصلح من السواد حتى ذو قهبش، وبقي شخص من العصيمات من ذو علبة كان غائباً

ثم حضر فرفض توقيع الصلح وأغلظ في الكلام، فطرح المصحف والعمامة فوقه ووعظه وذكّره بالله؛ لكنه أبى فدعا عليه إذا اعتدى ولم يشرف الصلح أن يجعلها الله في رأسه، فاعتدى فقُتل من ساعته بطلقة في رأسه، وأتوا به جنازة، وطرح عقالهم الجاه فوقه ألا يدعو عليهم، وقد لقي الرجل جزاء ذلك حتفه حيث أصابته الدعوة.

ذو صولان، ومحنوش

ومن ذلك أيضاً: ما بلغنا أنه أصلح بين ذو صولان، ومحنوش أهل فريح، ودعا الله على من نقض الصلح بالعقوبة العاجلة، فنقضه أربعة أشخاص من ذوصولان فقُتِلوا بيومهم، وصاح عقالهم عند الله وعندك يا سيدي عبد الله أوقف الدعاء لا تدعِ الله علينا، حيث أن الدعوة قد أصابتهم لنقضهم الصلح.

قصة أهل قطبين

ومن ذلك أيضاً: كما أخبرنا من نثق بخبرهم أنه أتى في شهر رمضان مصلحاً بين قبيلتي ذو فلحان، وذو عشيّان من أهالي قطبين -حيث كانوا في حروبٍ مستمرة وقد بلغ بينهم القتل مبلغه- ودعا على من نقض الصلح أن يجعلها الله في رأسه، فنقض الصلح واعتدى بالرماية أحدُ رجال ذو عشيان، فأصابته رصاصةٌ في رأسه، وقُتِلَ من ساعته، وعرفوا أن الدعوةَ أصابته، وأتوا إليه ذو عشيان

وطرحوا جيهانهم ألّا يدعو الله عليهم، وما حصل من هذا الرجل لم يكن برضاهم، وقد لقي جزاء نقضه الصلح هلاك نفسه.

الأهنوم، وذو بوسعيد

ومن ذلك أيضاً: كما بلغنا أنه أصلح بين الأهنوم، وذو بوسعيد -العصيمات أهل المعرش- ومكث ثمانية أيام بعد أن تَمّ الصلح، ثُمّ أُخبِرَ بأن الأهنوم لا زالوا في رأس القرن لم ينزلوا، فأتى إلى سوق الهجر، ودعا جميع الأطراف بظاهرة من السوق إلى تشريف الصلح، وسأل الله على من اعتدى ونقض الصلح أن ينزل عليه من السماء مصيبةً، ويجعله عبرة لغيره فأجاب الله دعوته، وحن الرعد ونزل عليهم بردٌ أو برق من السماء، فقُتِلَ أربعةٌ من الأهنوم الذين كانوا في القرن، وعرف الجميعُ أن الدعوة أصابتهم.

قصة الأهنوم

ومن كراماته أيضاً: ما بلغنا بما حصل في بلاد الأهنوم، والقضية معروفة، أنه دعا على شخص فهلك بسبب دعوته عليه؛ وذلك أنه أتى مصلحاً في قضية قَتْلٍ فطلب منه أولياء الدم أن يدعو على الجاني، فدعا الله عليه بالهلاك إن كان متعمداً للقتل فهلك بسبب دعائه، وعرف الناس أن الله قد أستجاب دعوته.

قصة بلاد الشط

ومن كراماته رَحِمَهُ ٱللَّهُ أيضاً: ما حصل في بلاد الشطّ من بلاد عذر، وذلك أنه دعا على شخص من أهل الشط حينما اختلف مع رجل من الحُجرية بنى له بيتاً، فأنكر وحلف أن يكون عنده أيّ حق لذلك الرجل، فدعا عليه إن كان فجرَ في يمينه، فعاجله الله بالعقوبة.

هذا.. وقد سمعنا هذه الحادثة من أشخاصٍ منهم رجل حنتبي من بلاد العصيمات، وفدَ إلينا ذات مرةٍ ونحن نصلي العصر بجامعنا جامع النور بقفلة عذر، ولم نكن نعرفه سابقاً، فلمّا فرغنا من الصلاة تقدم إلينا؛ ليسأل عن بعض المسائل الفقهية فأجبنا عليه بحمد الله وتوفيقه ورأينا فيه الخير وارتحنا لحديثه، وذكّرناه بالله والدار الآخرة، والمحافظة على الصلاة، فلما رأينا منه الاستجابة والاستماع رغبنا في تعليمه الصلاة وطلبنا منه أن يُعلّمَ أهلَه ومجتمعه رحمةً بهم وطلباً لفضل الله وثوابه، ولعل وعسى أن يجعل الله لنا نصيباً من رحمته وثوابه في هداية الناس فإذا به يُسَمِّع الصلاة حافظاً فتعجبنا من شأنه كيف هذا سبحان الله من علّمه الصلاة فأجاب قائلاً: كنت رهينةً أيام الإمام وكانوا يعلمونا الصلاة ونحن رهائن بحصن نواش بقفلة عذر؛ لهذا سألناه أن يعرفنا عن نفسه فقال: حنتبي -بدوي-

من بلاد العصيمات، وأسكُن في أعلى جبال ذو خيران أمشي راجلاً حوالي نصف نهار حتى أصل إلى أهلي، وكان عندنا مجموعةٌ من المصلين عرفوا مكانه، ثُمَّ سأل عنا فلمّا عرفَ، قال: أنت من ذرية السيد الذي ببلاد ذو صولان، ذاك السيد كان فضيلاً، إذا دعا على شخص أهلكه الله، مشينا ذات مرةٍ إلى عنده، ودعا على رجل من أهل الشط من ذو جراد، فعجّل الله عقوبته فمات.

ثمَّ ذَكَر هذه القصة فقال: كنت بدوياً في بلاد عذر بشَط بن جراد فترفق عندي رجلٌ من الحُجرية على شخصٍ من ذوجراد، ادَّعى أنه بنى له بيتاً ولم يحاسبه، فقلتُ له: أنا رجل -بدوي- حنتبي من بلاد العصيمات ولستُ من أهل هذه البلاد، لكن عليك الله بالسيد/ عبدالله المتوكل ببلاد ذو صولان، وأنا سأذهب معك، فلمّا وصلنا إليه وأخبرناه بالخبر كتب له ورقةً إلى عند غريمه ليحضر إليه، ثمَّ حضرنا جميعاً إلى عنده، فقال: هذا الرجل يدّعي عليك بأنّك لم تحاسبه على البناء فأنكر صاحب ذوجراد وحلف على ذلك، وقال الرجل لسيدي عبدالله: ادعو الله عليه، فدعا الله عليه بالعقوبة إذا فجر في يمينه وظلم هذا الرجل، فقال الحنتبي لم تمضِ أربعة أيام على صاحب ذو جراد حتى لقصته حية فمات، وحرق البيت بالنار،

وعرف الناس أن الدعوة قد أصابته، وهذه القصة كما أخبرنا هذا الرجل، وقد أيّد الله كلامه حيثُ أخبرنا بهذه الحادثة بعض الثقات بعد ذلك بفترة مع اختلاف يسير في بعض الألفاظ.

هذا.. وكم له رَحِمَهُ ٱللَّهُ من كراماتٍ واضحةٍ، ومواقفَ عظيمةٍ، يستجيب الله فيها دعوته، ويلبي ندائه، ويعجل له الإجابة فلا يدعو بأحدٍ من الناس إلَّا أهلكه الله بيومه، وكذلك إذا ما أصلحَ بين الناس، ودعى كلاً من الأطراف المتنازعة إلى الصلح بوقف الحرب والقتال، وحقن الدماء، وصيانة الأعراض، وأن يخافوا الله ويتقوه، ويصلحوا ذاتَ بينهم، فإذا وافقَ كلُ طرفٍ من الأطراف المتنازعة على الصلح، حينئذٍ يُسند هذا الصلح إلى وجوه الأطراف المتنازعة، والله كفيل عليهم حيثُ لا يجد من يسانده في عدم نقض الصلح إلَّا الله يستند إليه ويعتمد عليه، نعم المولى ونعم النصير، ثمّ يتوجه بالدعاء إلى الله على من نقض الصلح بالاعتداء والرماية بقوله: اللهمّ اجعلها ما تغرب إلَّا في رأسه فتحصل لذلك الشخص مصيبة عاجلة، فلا تغرب شمس ذلك اليوم إلَّا وقد أُصيب بطلقة في أُمّ رأسه يموت أثرها؛ لهذا كان الناس يرتدعون ويخافون من دعوته، ولا يتجاسرون على نقض الصلح؛ لعلمهم بفضله، وأن الله لا يُخيِّب

رجاءه ودعاءه، وإذا حصلَ من بعض الأطراف المتنازعة مخالفة، أو تجرأ بعضهم على نقض الصلح، عاجله الله بالعقوبة فيهلك بيومه، كما ذلك معلومٌ لديهم لا يختلف فيه اثنان، فسبحان من أكرمه وأيده بفضله بإجابة دعائه.

خوف المتقطع من دعائه

ومن كراماته رَحِمَهُ ٱللَّهُ : كما أخبرنا بعض الإخوان من بني الأعمام قائلاً: تقطّع لنا أُناسٌ من أهل فريح ذو شنان وأخذوا السيارة، فأتيت الوالد عبد الله إلى بيته بذوصولان وأخبرته بذلك، فذهب معي فوق سيارته إلى عند المتقطعين لكنهم رفضوا تسليمها، وأغلظوا في الكلام، وأبوا إرجاعها نهائيا، فدعا الله عليهم وقال: اللهم إنَّ فلاناً المتقطع -وذكر اسمه- قد طغى وبغى، اللهم فخذه أخذَ عزيزٍ مقتدر، فلما سمع المتقطع دعاءه خاف وارتعدت فرائصه وقال: خذ السيارة ولا تدعي علينا، وما ذاك إلّا لمعرفتهم بفضله، وعلمهم باستجابة الله لدعائه، وأن من دعا عليه عاجله الله بالعقوبة بيومه، فسبحان من أيده بتأييده، وحباه بالمهابة والقبول بين العباد، فيرتدعون ويخافون من دعوته.

ومن ذلك أيضاً: ما أخبرنا به فضيلة العالم العابد/ علي مسعود الرابضي، وفضيلة العالم الفاضل/ عبدالله علي القذان حفظهما الله، أن المتقطعين أرجعوا لهم السيارة؛ لما ذكروا اسم الوالد عبدالله رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكان ذلك في عام ١٤١٩هـ تقريباً حيث كانوا مسافرين، فلما وصلوا ما بين العشة وقفلة عذر، كان هناك قطاع من جهة العصيمات، فأخذوا مفتاح السيارة علينا، فقلنا لهم: سنذهب إلى سيدي عبدالله، فلما سمع المتقطعون ذلك، قالوا: هل تعرفوه، إذاً خذوا سيارتكم، ولا تذهبوا إلى السيد عبدالله، وما ذاك إلا لعلمهم بفضله، وخوفهم من أن تصيبهم دعوته، فسبحان من حبا الوالد عبدالله بالوجاهة والمحبة بين الأنام.

قصة صاحب ذمار

ومن ذلك أيضاً: ما أخبرنا به بعض الثقات الذين كانوا برفقة الوالد عبدالله، وذلك أنهم كانوا مسافرين فقصدوا زيارة الإمام يحيى بن حمزة عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بذمار، وأثناء دخولهم المسجد وقت صلاة الظهر، استقبلهم رجل وسلَّمَ عليهم بمحبة وشوق، واستضافهم للغداء في منزله وأكرمهم غاية الإكرام، فاستغربوا من شأن هذا الرجل حيث لم يكونوا يعرفونه سابقاً، فأخبرهم بأنه لم يعرفهم وإنما عرف الوالد عبدالله في المنام رآه مرتين وهو بجنب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وأمير المؤمنين علي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وكان يتلو الوالد عبدالله قوله تعالى: ((وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر)). وعرف رفاقه بأن هذه كرامة للوالد عبد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

بعض من بركاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ

نعم.. لا زالت بركات هيبة الوالد عبد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ واحترامه في قلوب الناس إلى اليوم حتى بعد وفاته، وأذكر موقفاً من المواقف بعد وفاته بفترة بسيطة، كنا مسافرين من صنعاء إلى البلاد مع بعض أعمامنا، فلما وصلنا بلاد العصيمات خارج العشّة، شاهدنا المتقطعين أمامنا، فلما رأونا قالوا: أولاد السيد عبدالله اطلعوا.. اطلعوا، ولم يوقفونا أو يسألونا، فنظرنا إلى بعضنا وقلنا: الحمدلله لازالت بركات واحترام الوالد عبدالله في قلوبهم، ولله الحمد والمنَّة.

٢- وأذكر موقفاً ثانياً بعد وفاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ بحوالي عشر سنوات، وذلك في شهر رمضان قبل السحور، كنا مسافرين لتشييع جنازة سيدي عبدالرحمن شايم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فلمَّا وصلنا ما بين القفلة والعشة، تفاجئنا بالمتقطعين من العصيمات -ذو طرفان- على أهل القفلة، فأخذوا السيارة، وفي اليوم الثاني بعد عصر يوم الجمعة، أتينا إلى عند المتقطع، فرفض إرجاعها، وأغلظ في الكلام، حيث قال: لو ينزل جبريل يذبحه ما ردّها فلما سمعنا ذلك يئسنا من مراجعته، والتجئنا إلى الله، ودعونا الله عليه من حرارة قلبٍ مكلومٍ ومتألمٍ جداً، فلما سمع المتقطع الدعاء خاف وطرح الجاه فوقنا مرتين، وقال لا تدعي

علينا سيقول: الناس أصابتنا دعوة السيد، كان جدك إذا دعا على شخص يموت بيومه، هذا مفتاح سيارتك، وكان أحد عُقّال قبائلنا الكرام من الصفارى حاضراً معنا لمراجعته، فقال: هذا بداية الخير، والحمد لله ما جاء بعد العِشاء إلَّا وقد أرجعوها إلينا مع أن سيارات أهل القفلة، وكافة قبائل عذر بقيت حتى عيد الأضحى.

٣- وهناك موقفٌ ثالث من مواقف بركات الوالد عبدالله بعد وفاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وذلك عند رجوعنا من صنعاء إلى البلاد، وقد سافرنا بعد الفجر؛ لنسلم من أذية المتقطعين حيث الطريق مخوفة بقطّاع الطرق، فلما وصلنا الصنعانية قبل مفرق الحبلة تفاجئنا بالمتقطعين من أهل الحبلة وأرادوا أخذ السيارة بالقوة، ولم يعرفونا، فأخبرناهم نحن هجرة حاشد وبكيل، وهذا المصحف كتاب الله جاه فوقكم لا تشغلونا، لكنهم أبوا وأصرّوا على أخذها، ثمّ أتينا إلى عند المتقطعين بعد الظهر ومعنا أناسٌ من أصحابنا الكرام أهل وادعة - القاسم- ووعظناهم وذكّرناهم بالله، لكن لم ينفع فيهم الوعظ، فسألنا: هل يوجد لهم عاقلٌ يردّهم لرشدهم؟ فقالوا: نعم، وأيضاً يوجد والده فذهبنا إليه فوجدناه من أهل المروءة، وقام معنا بواجبه، وعندما رجعنا إلى المتقطعين قبل المغرب، كان قد وصل لمراجعتهم

من قبائلنا الكرام أهل الشهامة والقبيلة كبيرهم وعاقلهم الشيخ/ درهم العرجلي، وقام بما يلزم، مع أنا لم نعرفه إلا ذلك اليوم، فلما رآنا عند قدومنا إليهم، قال لهم: لم تجدوا أحداً لتتقطعوا له إلَّا هذا السيد، كان جده إذا دعا بالشخص يهلكه الله، فلما سمع المتقطعون ذلك طرحوا جاههم وبنادقهم جاه فوقنا، معتذرين مما حصل منهم، طالبين العفو والمسامحة، فعفونا عنهم واشترطنا ألَّا يعودوا لقطع الطريق المسبّلة ويظلموا الضعفاء والمساكين فقبلوا والتزموا بذلك، ودعونا الله لهم بالهداية والصلاح.

والحمدالله الذي أكرم الوالد عبد الله بالمحبة والقبول بين العباد حيث لا زالت بركة دعائه واحترامه في قلوبهم حتى بعد وفاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

كرامة الشفاء

ومن كراماته أيضاً: أنّ الله تبارك وتعالى جعل في يديه الشفاء، فكان يأتي إليه كثيرٌ من الناس من مختلف البلدان للعلاج، ولاسيما مرضى المسّ، والسّقطة بما يشبه الصرع، الذين ربما عجز الطب الحديث عن معالجتهم، فما إن يقرأ عليهم من كتاب الله تعالى، ويدعو الله لهم بالشفاء فيشفيهم الله سبحانه، ويقومون من ساعتهم معافيين بفضل الله سبحانه، ثمّ ببركة دعوته المباركة، وكان يصفهم ببعض الأعشاب، ولا سيما بالسّنا، فيشفيهم الله تعالى.

كرامة نزول المطر

ومن كراماته رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما حصل ببلاد عذر من نزول المطر فجأة على الناس، وذلك أنه أُخبِر بقضية من القضايا، وقد تأزم الخلاف واشتدّ فيها، وأنّ معظم قبائل عذر وغيرهم قد اجتمعوا لأجلها، وربّما يحصل ما لا يُحمد عقباه، حيثُ كلٌ يريد فرض نفسه بالقوة، وكادوا أن يقتتلوا ويُهلكوا بعضهم البعض، لولا فضل الله ولطفه بعباده، حيث أكرمَ بالوالد عبدالله -وكأنّي به وهو بينهم ماذا يعمل وما يصنع وكيف يوقف نار تلك الفتنة- فألهمه الله تعالى فأذّن أذان الصلاة، فأنزل الله المطر فجأة على الناس، فلما رأوا ذلك خافوا من دعوته، واعتذروا إليه، وحلّ القضية من ساعته، وحسم أمرَ الخلاف بينهم، والحمد لله.

وسبب القضية أنه حصلَ خلافٌ بين رجلٍ وصهره وتطور الخلاف واستمرّ سنتين تقريباً، حتى تدخلت قبائل عذر في هذه القضية، فقام معه ذو قاسم، ومع صهره ذو غيثان، وكبرت القضية، واجتمع لأجلها مشايخ ذو غيثان، ومشايخ ذو قاسم، وبني عرجلة وغيرهم من الناس وكانوا خلقاً كثيراً كما أخبر بذلك صاحب القضية بأنهم حوالي ألف ومائتا رجلٍ من كافة أثلاث قبائل عذر ومن غيرهم، فنشبت نارُ الفتنة بينهم، وعزموا على الشرّ وتواعدوا

وتعاقدوا على القتل، واستعدوا لذلك، قال الرجل: فوجهت سلاحي، وفتحت أمانه، ونويت الشر، وكادت أن تُسفك الدماء، وتُزهق الأرواح، إلَّا أنّ الله تعالى لطف بلطفه، حيثُ قام سيّدي عبدالله فأمسك بيدي وخطّ في الأرض بعصاه، ودعا الله تعالى وأذّن الأذان المشروع في الصلاة فأنزل الله المطر فجأة، وارتهبت القلوب، وخافوا أن تصيبهم دعوته، فيهلكهم الله بدعائه، وصاح مشايخ ذوغيثان نسترفق بالله لا تدعي علينا، وطرحوا بنادقهم جاهاً فوقه معتذرين مما حصل منهم، وأنهم محكمين له وفي يده، فقال لهم: إذن صباح غدٍ إن شاء الله تردّون النساء كُلَّ واحدةٍ لزوجها بدون أيّ شرط، فقبلوا جميعاً بذلك، وطلب من المتخاصمين أن يتعافوا ويتصافحوا، فتعافوا وتسالموا، فسبحان من أكرمه ووفقه لإصلاح ذات بينهم، وحقن دمائهم، وتأليف قلوبهم على المحبة والإخاء، وأيّده الله تعالى ووفقه فحلّ قضيتهم، وقطعَ دابرَ الخلاف بينهم، ولله الحمد على عونه وتوفيقه.

هذا الذي إن دعا الرحمن مبتهلاً ... هاجت له همُمُ الأقوام إذ وهبا
بيتٌ مكارمه في الصلحِ راجحةٌ ... فما تراه على الهمّات مضطربا
نادته آياته والحربُ قائمةٌ ... هلّت بك البشرى حمّالة شهبا

كرامة الاستسقاء

ومن كراماته رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أنه ذاتَ مرةٍ ذهب للاستسقاء بالناس فسقاهم الله تعالىٰ وذلك ببلاد ذو صولان محل إقامته وبيته ومزرعته -وكنت أشاهد هذا الموقف إلَّا أني كنت صغيراً- وكانوا في طريقهم يتوّبون ويستغفرون الله ويدعونه حتىٰ وصلوا إلىٰ مكان الوَشل هناك فصلّىٰ بالناس ودعا الله تعالىٰ، والناس بعده يُؤَمّنون علىٰ دعائه، ثمّ تقربوا إلىٰ الله بما حضرهم من القربات، ويعلم الله ما إن صلينا الظهر ورجعنا إلىٰ منازلنا وجلسنا يسيراً، فإذا بالسيل قد وصل إلىٰ الجِرب ببركة دعائه، وهذا كله بفضل الله سبحانه.

ومع هذا.. كان الجدبُ إذا أصابَ البلدان لا يصيب بفضل الله -الشاطي- مزرعته، كما ذلك معروفٌ وعند الناس معلومٌ، وكانت بركات وزرع ذلك الشاطي لا يُردّ منه سائلٌ، ولا يخيب منه قاصدٌ، ولا ضعيفٌ ولا مسكين، حتىٰ أهل البلاد ينالهم من بركات زرعه، ومع هذا كان يفد أهالي ذو صولان إلىٰ عند أهله ويسألونهم من خير وزرع ذلك الشاطي فلا يردّون أحداً؛ بل يُقسّمون الزرع بين الناس، كلٌ يأخذ له حصته من ذلك؛ لهذا بارك الله لهم في ذلك الشاطي، ولا زالت خيراته قائمة، وبركاته متنامية ببركة وفضل صاحبها.

أمَّا بِئره العذبة -التي بجوار مسجده المبارك- فكانت عذوبة مائها تفوق كثيراً من الآبار، وربما نافست بئر اثلة -بقفلة عذر- وكانت البركة فيها عظيمة حيث كانت تكفي الناس جميعاً؛ بل وتكفي قبيلة ذو صولان كافّة، فيشربون منها ويغتسلون ويسقون منها دوابّهم وأنعامهم مع أنه كان لا يوجد بئرٌ غيرها إلَّا أنَّ الله تعالى بارك فيها بفضله سبحانه، ثمّ بفضل وبركة صاحبها مع نيته الطيبة، وأعماله الحسنة، ودعواته المباركة؛ بل إنّ الله قد جعل بركةً في ذلك المكان بفضل أعمال صاحبها الصالحة، وكما يعلم الله أنّ القلوبَ كانت تنشرحُ كل الانشراح عندما تصل إلى ذلك المكان المبارك محل بيته ومزرعته؛ بل وتطمئن صدُورنا، وترتاح أفئدتنا بمجرد ذكرنا لزيارة والدنا الكريم، وحيّ مقامه السامي الشريف بذو صولان، كما ذلك معلومٌ لدينا، ومشهورٌ عند أهل البلاد، ولا ينبئك مِثلُ خبير، ولا زالت بركات ذلك الشاطي وخضرة زرعه متنامية، وعذوبة بئره وبركة مائها مستمرة متواصلة؛ بل ونور ذلك المكان محل إقامته ومسجده، وبهاء تلك البقعة المباركة حيةٌ قائمة حتى توفاه الله تعالى وقَبِله إلى جواره، فقلّت الخيرات والبركات من ذلك المكان، فقلّ ماءُ تلك البئر، وقلّت عذوبتها، وما إن ارتحل من هناك

بقية أهله وأولاده بسنوات حتى يبست، مع أنّها كانت تكفي الناس جميعاً، وتكفي القبيلة بأكملها كما قدّمنا، وكذلك قلّ الخير والبركة من محاصيل زرع ذلك الشاطي، فبعد سنوات لم يُحصد منه أيّ محصول؛ بل لحقه الجدب واليباس، مع أن محاصيل زرعه كانت عظيمةً جداً، فكان يحصد منه كذا وكذا.. أقداح من الحبوب، إلّا أنّ تلك البركات ذهبت بذهابه، ورحلت مع رحيله رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وانطفى نورُ ذلك المكان بانطفائه، فلم نعد نحس ببهاءٍ ولا انشراحٍ للصدور في ذلك المكان عدا نور ضريح قبره ومسجده المبارك، وكأنّ الله تعالى جعل تلك الخيرات والبركات بفضل أعماله الصالحة، وبركة دعائه، فهي كراماتٌ من الله له، وفضلٌ منه سبحانه لوليه وابن رسوله، وفيها آياتٌ للسائلين، ونورٌ للمستبصرين، فهو نورٌ في حياته وبعد مماته رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ولهذا شُوهِدَ نورٌ من قبره بعد وفاته، وقبره بجوار مسجده هناك بذو صولان، كما سيأتي. ولله القائل:

مدارسُ آياتٍ خلت من تلاوةٍ ... ومنزلُ ذكرٍ مقفر العرصات
قفا نسأل الدار التي خف أهلها ... متى عهدها بالصوم والصلوات
همُ أهل ميراث النبي إذا اعتزوا ... وهم خير قادات وخير حماة
فيا وارثي علم النبي وآله ... عليكم سلام دائم الحسناتِ
فيا رب زدني في يقيني بصيرة ... وزد حبهم يا رب في حسناتِ

قصة وجود الماء

ومن ذلك أيضاً: كما بلغنا أن أصحابه أصابهم العطش ففرج الله عنهم ببركته، وذلك حينما كان ببلاد المشرق أيام الثورة، وكان معيّناً على مجموعة من الناس من قبل سيف الإسلام الحسن بن الإمام يحيى حميدالدين، وقد بلغ بهم العطش مبلغه، فالتجاء إلى الله ونام في الليل فسمع خرير الماء من تحته، وهكذا ثلاث مرات، ثمّ أيقض من حوله من أهل الخير والصلاح الذين يثق فيهم، وأخبرهم بذلك، وأن عليهم أن يحفروا وسيفرّج الله عليهم بالماء، فصدّقوه لثقتهم به، وحفروا ما شاء الله أن يحفروا فوجدوا الماء وشربوا حتى ارتووا جميعاً، وكانوا أُناساً كثيرا، وقد أوشكوا على الهلاك إلّا أن الله لطف بهم، وفرّج كربهم، وكشف غمهم، وأزال همّهم، وأروى عطشهم، ببركة دعائه، والحمد لله.

قصة القيسي

ومن كراماته أيضاً: قصة القيسي، حيثُ دعا له أن يرزقه الله الذريّة، فتكاثر نسله كثيراً، وسبب ذلك كما بلغنا أنه عفى في ولده الذي قُتل من قِبَل بعض الشعاوثة، وكادت الفتنة أن تشتعل بينهم، وتدخل الناس بالصلح والوساطة فلم يقبل؛ بل ردَّ متوسطين كثيرين إلى أن وصل الوالد عبدالله فقَبِلَ وساطته، وعفى في ولده

مع أنه لم يكن له ولدٌ غيره فناله من بركات الوالد عبدالله دعوة مجابة، فتباركت ذريته كثيراً، وبفضل الله تعالى سهل الله لهم بمرشد، وكنا نمشي إليهم للإرشاد، ويخبرونا أولاده والناس بأن ذرية القيسي تباركت بسبب دعوة الوالد عبدالله له، فسبحان من حباه بفضله بإجابة دعوته.

هذا.. ولقد عرفنا ببركة الإرشاد هذه البلدان، وذلك حينما كنا نصل إليهم للإرشاد، فتعلموا كتاب الله وتفقهوا في الدين، وهذا بفضل الله تعالى، ثمّ ببركة علمائنا الأعلام الذين كانوا يبعثونا إلى معظم النواحي والبلدان؛ لإرشاد الناس وتعليمهم معالم دينهم، وبحمد الله وفضله استجاب الناس للإرشاد، ولبّوا داعي الرحمن، وذلك في معظم بلاد عذر من ذو قاسم، وبني عرجلة، وذو غيثان، وكذلك في بعض بلاد العصيمات إلّا أنهم أقل استجابة من عذر، وباستجابتهم لداعي الله عمتهم رحمة الله وفضله ولهذا ترى مساجد تلك البلدان بذكر الله والصلوات الخمس عامرة، وبحِلق القرآن والعلم حافلة، وقلوبهم إلى الخيرات مسارعة، وببركة الإرشاد رُدَّت الحقوق لأهلها والمظالم لأربابها، وقسّمت المواريث بحسب فرائضها، وسادت روح المحبة والرحمة بين العباد ولله الحمد.

محبة القلوب له

ومن ذلك أيضاً: أنّ الله عطف عليه قلوب عباده برأفة ورحمة وملأها له محبة ومودة، وأعلا جاهه، وملأ صيته في معظم البلدان من بلاد عذر والعصيمات، والأهنوم، وحجور، وسفيان، وآل عمار، ووائلة من بلاد المشرق، وكذلك بلاد برط وغيرها كثير من البلدان، ورفع ذكره في الآفاق، فقد عرفه الناس، وعرفوا سيرته المباركة، وأخلاقه النبيلة، وصفاته الكريمة التي أكرمه الله بها؛ لهذا كانت أعماله الصالحة، ومعاملته الحسنة مع الناس من حل قضاياهم، وإصلاح ذات بينهم سبباً لقبول الناس للإرشاد، وتقبلهم في معظم بلاد عذر، وغيرهم؛ بل ويصرّحون بذلك وأنهم يتقبّلونه؛ لثقتهم بالوالد عبد الله، ومعرفتهم بفضله، وعلمهم بورعه وتقواه لله تعالى، وأنه ليس له غرض دنيوي في سعيه بالخير والإصلاح بين الناس في جميع البلدان، ولمعرفتهم بإجابة الله لدعائه، وتعجيل عقوبة من خالفه أو نقض صلحه، كل ذلك أدّى بتوفيق الله وفضله إلى استجابتهم لداعي الخير وتقبلهم للإرشاد، ولله الحمد والمنّة على ذلك.

ومع هذا.. فقد هيأ الله على يديه رَحِمَهُ ٱللَّهُ أسباب دخول الإرشاد إلى البلاد، وهذا من لطف الله بنا وبعباده، حيثُ يسر أسباب ذلك

فسهل لبعض الإخوان بالهجرة لطلب العلم عند علمائنا الكرام فترة، ثمَّ عاد وتحدث عن ما رأى من بركات علمائنا والإرشاد، فما كان من والده، والوالد عبدالله إلَّا التواصل مع علمائنا الكرام طالبين زيارتهم للإرشاد فوصل كوكبةٌ من علمائنا الأعلام إلى بيوتنا ومساجدنا، وفي مقدمتهم سيدي العالم الحجة/ محمد بن عبدالله عوض حفظه الله فكانت أول موعظة منه ومن سيدنا العالم الفاضل ولي آل محمد/ عبدالله بن علي القذان، وكذلك أول خطبة بجامعنا جامع النور بقفلة عذر من شيخنا العالم العابد نجم الشيعة الأخيار علي مسعود الرابضي وذلك في٢٥ربيع ١٤١٩هـ الموافق ١٩٩٨م، وكان معهم بعض المرشدين توزعوا يوم الجمعة في مساجد البلاد، وحلّ بمَقدمهم الخير والبركة في بيوتنا ومساجدنا، وقد جعل الله سبحانه ذلك فتح خير للإرشاد في كافة البلاد، ولازالت بحمد الله وفضله بركاتُ إرشادهم مستمرة متواصلة منذُ وصولهم وإلى اليوم ولله الحمد والمنّة على نعمة الهداية والإرشاد، وهذا تذكيرٌ بنعم الله سبحانه وألطافه علينا وعلى عباده، وكل هذا بفضل الله وتوفيقه، ثمَّ ببركة علمائنا الأعلام الذين جدّوا في هداية الناس وصلاحهم فهدى الله بهم العباد، وأصلح على أيديهم البلاد، وجزاهم الله عنّا

وعن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، ورضي عنهم أحسن الرضا [١] ونسأل الله سبحانه التوفيق والسداد، وأن يوفقنا معهم، ويثبتنا على طريقتهم، ويسلك بنا منهاجهم، وأن يشركنا في صالح أعمالهم وإرشادهم، وأن يختم لنا جميعاً بالسعادة والحسنى بحق الله وأسمائه.

ولله درُّ القائل:

ولَهُم فضائلُ لستُ أُحصِي عَدَّها ... مَنْ رامَ عدَّ الشُّهبِ لم تَتَعَدَّدِ
والقومُ والقرآنُ فاعرِفْ قَدْرَهُمْ ... ثَقَلانِ للثَّقلينِ نصٌّ مُحَمَّدِ
وكَفَى لهم شَرفاً ومجداً بَاذّخاً ... شَرعُ الصلاةِ لهم بكُلِّ تَشَهُّدِ

---

(١) هذا.. وأذكر موقفاً من مواقف الإرشاد المباركة وذلك في سنة ٢٠٠٠م تقريبا، حيث كان علماؤنا الكرام يذهبون للإرشاد في معظم بلدان اليمن، ويأخذونا معهم للإرشاد والطلبة المهاجرين في نهاية كل أسبوع ثلاثة أيام، ويتم توزيع المرشدين لخطب الجمعة حسب العادة في معظم البلدان، وكان الإرشاد تلك المرة في بلاد سفيان وخيوان الحمراء والثمائمة ومقرن وغيرها، وبينما نحن هناك إذ أقبل إلينا بعد صلاة الجمعة رجل شيبة عليه أثر السفر، فسأل عنا فلما عرف قال سمعت خطبتك في الجمعة الماضية عن طلب العلم وقد أتيت من بلاد ورور أمشي راجلا من الصباح؛ لأهاجر معكم وأطلب العلم، وسألناه هل سوف تستمر في طلب العلم فقال: إن شاء الله -وسبحان الله شاءت الأقدارُ أن نرجع لتلك القرية وكأنه لأجل أن نأخذه معنا للهجرة- وأنزل الله مطراً عظيماً فشربت بلاد خيوان بأكملها، وفي صباح اليوم الثاني ذهبنا معاً إلى صعدة محل الهجرة بآل العامري، ومحل الشاهد من ذلك أن هذا الرجل المؤمن توفق وخُتم له بخاتمة طيبة حيث مكث ثلاثة أيام مهاجراً، ثم لقي الله وما ذاك إلّا لإخلاصه لله، وإذا بشيخنا العالم العابد/ علي مسعود الرابضي يعظنا والطلبة بهذا الرجل ويتلو قوله تعالى: ((ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله)) نسأل الله التوفيق وحسن الخاتمة.

هذا.. وبمناسبة زيارة علمائنا الأعلام إلى بلادنا للإرشاد عام ١٤١٩ هـ الموافق ١٩٩٨ م، قال هذه القصيدة العظيمة التي فيها من العظات والعبر، وتذكر الديار التي خلا منها ساكنيها وأهلها حتى علمائها، وأيضاً فيها من البلاغة والمجاز ما لا يخفى على أهل الذوق من أهل المعاني والبيان، وقد سعدنا بمقدمهم الكريم حيث حل السعد والبركات في بيوتنا ومساجدنا، وألقيت فيهم القصائد الترحيبية، وقد أجاب علينا سيدي العلامة الحجة / محمد بن عبدالله عوض بهذه الأبيات:

ألا حُيِّيتِ أيتها الدِّيارُ ... فأشواقي إلى الأطلال نارُ
أعاصير الزمان سفت عليها ... وبعد جمالها جورٌ وحارُ
بيوت القفلة الغراء تحكي ... أحاديثاً تترجمها الحجار
تذكرني الأُلى كانوا وكانوا ... وحلّوها زماناً ثُمّ ساروا
وترسمُ لي هياكلُ ذاتَ عزٍ ... واشباحاً يصورها الجدارُ
أثارُوا في الفؤادِ دفينَ حزنٍ ... تناساه الفؤادُ فلا يثارُ
فعزيت الفؤادَ بما يُعزّا ... به المحزون أثقله الإصارُ
هي الدنيا أراد لها إلهي ... وكان مفاخرُ الدنيا بوارُ
يُسرُّ بها الفتى يوماً ويوماً ... تحلُّ به المساءةُ والضرارُ
وناجيتُ الرسومَ أسرُّ وحيي ... ملاطفةً وأعجلني المسارُ
سلامٌ يا رسومَ الفضلِ دامتْ ... ديارُكِ ما مَحَى ليلا نهارُ
وأهدي في الأخير سلامَ ودٍّ ... وإن بعدُ المشقةُ والمزارُ
إلى أحفاد إسماعيل جمعاً ... شهير الذكر إن خمل ادّكار

بعض المواقف التي حصلت

هذا وكم له رَحِمَهُ ٱللَّهُ من مواقفَ نبيلة، وأعمالٍ صالحةٍ كريمةٍ، وذِكرٍ حسنٍ بين الناس، فلا يُذكر عند ملأٍ إلَّا ذكروه بخير، وما ذاك إلَّا لإخلاصه لله وتقواه، فسبحان من ملأ محبته وذكره في معظم البلدان، سواء في بلاد حاشد، أو في بلاد برط وغيرها، كما أسلفنا.

ومن تلك المواقف الطيبة، بعض المواقف التي حصلت هناك، وذلك في عام ١٤٢٤هـ الموافق ٢٠٠٣م حيثُ أرسلَنا علماؤنا الكرام إلى جبل برط للإرشاد، ومكثنا عند المعاطرة -بيت القَيل- فترةً لتعليم الناس وإرشادهم، ثمّ تنقلنا في تلك البلدان للمواعظ وخطب الجمعة من بيت القيل إلى النصيف، والقابل ثمّ إلى حجان، والصرعة، وبن حنيش، والعنان، وغير ذلك من المناطق، والحمد لله استجاب الناس لداعي الخير والإرشاد وبينما نحن هنالك سمعنا بعزاء في قرية النصيف عند القضاة العنسيين، فذهبنا إليهم؛ لعلّنا أن نحظى بالقبول من الله فيجعل لنا سبحانه نصيباً من رحمته وثوابه في هداية الناس وإرشادهم، حيثُ لم يكن قد وصل الإرشاد إلى تلك البلدان، وقد حضر جمعٌ كبيرٌ من الناس، وبفضل الله استمعوا للموعظة وارتاحوا لها، فلما أكملنا ذلك سأل بعض القضاة عنّا،

فأخبرناهم بذلك فتعجبوا كيف من ذرية الوالد عبدالله المتوكل، وأثنوا عليه بالخير إلَّا أن وجوههم كانت متعجبةً ناطقةً هل ذلك حقيقة أو خيال، لكنّه الحقيقة والواقع، والحمد لله الذي أكرم الوالد عبدالله بمحبة الناس له في كثير من البلدان.

هذا.. وكان لهذه الزيارة بحمدلله، وكذلك زيارة بيت القابل، وخطبة الجمعة هناك ثمرةٌ عظيمة، وهو دخول الإرشاد في تلك المناطق والبلدان، وطلبهم للمرشدين حيثُ أرسلوا بالرسائل معنا إلى علمائنا الأعلام، وعلى رأسهم سيدي العالم الحجة/ الحسين بن يحيى الحوثي، وشيخنا العالم العابد ولي آل محمد/ علي مسعود الرابضي حفظه الله تعالى، مع أن بعض البلدان ذهبوا معنا لزيارة علمائنا الكرام يريدون مرشدين لبلدانهم؛ لهذا أرسل علماؤنا بالمرشدين إلى تلك البلدان، وكان ذلك فتح خير للإرشاد، والحمد لله.

نعم.. ولِاهتمام علمائنا الكرام بإرشاد الناس وهدايتهم لم نلبث بعد تلك الزيارة إلَّا فترة بسيطة حتى وصل إلينا كوكبةٌ من علمائنا الأعلام إلى برط وفي مقدمتهم سيدي العالم الحجة/ محمد بن عبدالله عوض، وسيدي العالم الفاضل/ قاسم صلاح نورالدين، وسيدنا العالم العابد/ علي مسعود الرابضي حفظهم الله جميعاً، ومن معهم

من العلماء والمرشدين، وكان وصولهم فتح خير للإرشاد في تلك البلدان، واستقبلهم الناس هناك -في بيت القيل- برغبةٍ وشوق، وهيأوا لهم مخيّماً كبيراً جداً، وأحسنوا في استقبالهم وإكرامهم، ولِلهِ درُّهم من قبائل كرام، أهل جود وكرم، وكذلك في بن حنيش أكرموهم غاية الإكرام، وتوسع الإرشاد في تلك المناطق والبلدان بفضل الله، ثمّ ببركة علمائنا الكرام رضوان الله عليهم.

موقف آخر

ومن ذلك أيضاً: موقف آخر من تلك المواقف الكريمة، التي حباه الله بها رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حيثُ جعل له سبحانه ذِكراً حسناً بين العباد، ورفع قدره، وأحيا ذكره في النواحي والأمصار.

ومن تلك المواقف الكريمة ما حصل أيضاً: في بلاد برط، عام ١٤٣٥هـ الموافق ٢٠١٤م يوم الغدير، وذلك قبل وفاة سيدي العالم الحجة/ الحسين بن يحيى رَحِمَهُ ٱللَّهُ بيوم، هذا وقد كان العزم إلى جبل برط لغرض الإرشاد، وإحياء الغدير هناك قاصدين زيارة الإخوان من طلبتنا الكرام، حيثُ لنا فترة كبيرة حوالي ١١ سنة من زيارتهم، وقد اشتقنا لهم، فلعلَّ وعسى أن يوفقنا الله بلقائهم وبمن قد عرفناهم من الناس الكرام أيام الإرشاد في تلك الفترة ما بين عام

١٤٢٤هـ حتى ١٤٣٥هـ فنحثهم على طلب العلم ونتعاون وإياهم على البر والتقوى بإحياء الدين والإرشاد، بفضل الله وتوفيقه، وعونه وتسديده، فإنه لاحول لنا إلا بالله ولا قوة لنا إلا بمعونته وتوفيقه، ونسأله سبحانه القبول والتوفيق وحسن الختام، وأن يهب لنا حظاً ونصيباً مع علمائنا في إحياء دينه وإرشاد عباده، بحول الله وقوته إنَّه قريبٌ مجيب.

هذا.. وكان ذلك اليوم يوماً مهيباً عظيماً، اجتمع فيه جمعٌ كبيرٌ من الناس، من كل قرية، ومن كل عزلة، وتوافد الناس إلى سوق العنان، ثم تحركت تلك الجموعُ الغفيرة المهيبة من الناس إلى بن حنيش؛ لإقامة الاحتفال بالغدير هناك، واستقبل وجهاء وعقّال بن حنيش الناس هناك، وفي مقدمتهم وعلى رأسهم رجلٌ من وجهاء القوم كبيرٌ في السن على لحيته الكريمة -التي ملئت صدره- المهابة والوقار، وعلى وجهه سيماء الصالحين، فتكلم نيابة عن جماعته من أهالي وعقال بن حنيش مُرحّباً بالضيوف الوافدين للغدير هناك، ولم نكن نعرف هذا الرجل الفاضل سابقاً، مع ما كنا نذهب في تلك الفترة السابقة أيام الإرشاد إلى بن حنيش لزيارة المرشدين، إلّا أنا لم نشاهده ولم نلتقي به إلّا ذلك اليوم، وكان يوماً عظيماً مباركاً،

حضره الكثير من الناس، وقد طُلِب منا إلقاء كلمة في الغدير، فصَعدنا المنصة نزولاً عند رغبة الإخوان الكرام، وطلباً لثواب الله ورحمته في ذلك اليوم العظيم، راجين من الله سبحانه القبول لذلك، وأن تشهد لنا تلك البقاع المباركة والأرض الطيبة يوم الدين بالبلاغ والإحياء لولاية أمير المؤمنين علي عليه السلام، والذي نتقرب إلى الله بحبه وولايته ونسأله سبحانه بجوده وكرمه أن يرزقنا من بركات علومه، وأنوار هدايته ما نسعد به في الدنيا والآخرة، وأن يجمعنا به مع محمد وآله في الجنة بحق الله وأسمائه.

هذا.. والشاهد من هذه الحادثة سوف نذكره إن شاء الله تعالى، ولسان الحال يقول: إذا أراد اللهُ نشر فضيلة هيئ لها الأسباب، وسبحان الله لا ندري كيف شاءت الأقدار أن نجتمع في ذلك اليوم بهذا الرجل الكريم، مع شدة زحمة الناس وكثرتهم، حتى تفارقنا نحن وبعض رفاقنا من شدة ذلك الجمع، إلَّا أنها شاءت مشيئة اللطيف الخبير أن نلتقي به، ونجتمع معه في بيت أحد أحفاده، وذلك بالصُّدفة حيث كانوا يأخذون من وجدوا من الناس للضيافة

والغداء بدون قصدٍ، وهذا يدلّ على كرمهم، وكرم أخلاقهم، ولله درُّهم من قبائل كرام، أهلُ جودٍ وكرم [١].

(١) نعم.. وهذا الوالد الفاضل من آل قملان، هو بحقٍ شخصية كريمة، على محياه المهابة والوقار؛ بل إنَّها لازالت صورةُ وجهه الكريم -ولحيته المباركة التي ملئت صدره- في خيالي وذاكرتي، ولا أنسى ولا أتناسى غرة وجهه، ومهابه طلعته، ورجاحة عقله، و وقاره وسمته، مع اشتياقٍ للقائه؛ بل كلما تذكرته اشتاقت النفس لرؤيه وجهه الكريم، ومقامه السامي الشريف، ولو سمحت لنا الظروف لزرناه إلى مقامه بجبل برط، ولكن لا ندري هل ستُسعدُنا الأيامُ بلقائه أم لا، إلَّا أن أملنا في الله كبير، ورجائنا به عظيم، أن يحققَ الأملَ من ذلك، ويجمعنا به وبذريته المباركة على خير وعافية، بحول الله وقوته وهو على كل شيء قدير، ومع هذا.. فقد كان التواصل معنا من بعض ذريته وأحفاده الكرام، وبقوا على ذلك إلى ما شاء الله، وقد طلبوا منا أن نزورهم إلَّا أن الظروفَ الحاصلة باليمن عامة لم تسمح بالوصول إليهم، وقد أخبرناهم أن الغرض الأهم من ذلك هو أن نتواصى بتقوى وطاعته، والاهتمام بطلب العلم ولإرشاد؛ لنسعد في الدنيا والآخرة، هذا.. وكما تمنوا زيارتنا لهم، كذلك تمنينا زيارتهم إجلالاً لهم، وحباً فيهم، ومعزة بهم، وتشريفاً وتقديراً لمقامهم السامي الشريف، ومنبتهم الصافي الأصيل، ووفاء لمعروفهم الكريم، ورغبةً في ثواب الله ورحمته، وصلةً وبراً بتلك المودة القديمة بين أسلافنا الأخيار من آبائنا وآبائهم الكرام فنوصل بتوفيق الله ما ضي أسلافنا الأخيار بمستقبلنا الحاضر، وذلك بالتعاون على البر والتقوى بإحياء دين الله القويم، وشرعه الحنيف من طلب العلم والإرشاد؛ لنكون جميعاً إن شاء الله خير خلف لخير سلف، وفي الأثر المروي عن رسول الله ﷺ: ((من أبرّ البر صلة الرجل أهل وُدّ أبيه بعد أن تولى)) ونسأل الله أن تكون محبتنا لله، وصداقتنا لله، وأن يجعلنا إخواناً فيه، أعواناً على ما يرضيه، وأن يدوم محبتنا وتعاوننا في طاعته وابتغاء مرضاته والدار الآخرة، وأن يجعلنا وذرياتنا من العلماء العاملين المخلصين في إحياء دينه وإرشاد عباده، وأن يجعلنا من دعاته الداعين إليه، وهداته الدالين عليه، ومن خاصته الخاصين لديه، وأن يتقبل ذلك منا ويجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يثبتنا على الحق أبداً ما أبقانا، ولا يزغ قلوبنا بعد إذ هدانا، وأن يختم لنا جميعاً بالسعادة والحسنى، كما نسأله سبحانه أن يجمعنا بأسلافنا الأخيار الصالحين الأبرار في دار كرامته، ومحل أوليائه، في جنةٍ عالية، لا تسمع فيها لا غية، بحق الله وأسمائه.

نعم.. وحينما دخلنا ذلك البيت أتى إلينا وكأنَّه سأل عنّا عندما ألقينا الكلمة، ولهذا قال: سألتُ عنك، فقالوا: من بيت المتوكل، فأجبناه: نعم، ثمَّ سأل وقال: ما هو لك سيّدي عبدالله بن الحسن المتوكل صاحب القفلة، فقلت: جدّي، فقال: كيف هذا -باندهاشٍ واستغراب- قائلاً: ذلك كان عالماً، كان فضيلاً، كان مع سيف الإسلام الحسن، ومع محمد بن الحسين، فقلنا: نعم هو كذلك، كان معهم كان مع سيف الإسلام الحسن بن الإمام يحيى رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ في بلاد المشرق، وبلاد عضلة أملح، وفي بلادكم بن حنيش وغيرها، وقد أخبرني بنفسه رحمة الله تغشاه، أنه كان مع سيف الإسلام الحسن، وكان الحسن يأخذ على القادة بيان إخلاء مصروفات الأفراد، ولا يأخذ عليه شيئاً، فسبحان الله ما ذاك إلَّا لثقة سيف الإسلام بالوالد عبدالله رحمة الله تغشاهم أجمعين، ثم سألناه أن يُعرّفنا عن نفسه فقال: من آل قملان فلما سمعنا ذلك سألناه عن الحاج ناجي قملان، وولده عبدالله، فقال: ناجي قملان والدي وقد توفي-فتفاجئنا بذلك حيثُ وهم من أصحاب الوالد عبدالله الأوفياء، ولم نتعرّف عليهم إلَّا من خلال حديثه ذلك اليوم- وأخبرناه أنهما أرسلا للوالد عبدالله برسالة خطّيّة، ونحن في المستشفى بصنعاء برفقة

الوالد في المرض أو الحادث الذي توفي أثره بعد ستة أشهر تقريباً، وأرفقا بصورتهما مع الرسالة، وهذه صورتهما ورسالتهما، فلما رأى صورة والده بكى، وحينها أيقن أنّي حفيد الوالد عبدالله رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ولم يتمالك هذا الرجل الطيب حتى أمسكني وجعل يقبلني في رأسي وفي جبيني، وبين كتفي وصدري، وجلستُ معه وهو يُحدّث أولاده والناس قائلاً: لقيت لي اليوم ضائعة، فسبحان الله العظيم ما هذه المصادفة العجيبة، ولسان حال الجميع يقولُ:

أبى الله إلَّا جمعنا ولقائنا على بعد أوطانٍ وطولِ زمان

وهذه الحادثة من أغرب الحوادث التي مرّت علينا في حياتنا حيثُ لم نتوقع ذلك وما كاد الناس أن يُصدّقوا، وكأنه خيالٌ إلَّا أنّها الحقيقة والواقع.

فسبحان الله الذي أكرم الوالد عبدالله بالمحبة والقبول في معظم البلدان، سواء في بلاد حاشد من بلاد عذر، والعصيمات، وبلاد الأهنوم، وحجور، وسفيان، وكذلك في بلاد برط ذومحمد وذو حسين، وبلاد وائلة، وكذلك بلاد عضلة أملح من بلاد المشرق، أو بلاد آل عمار، وكذلك في بلاد صعدة، وغير ذلك من بلدان اليمن كما أسلفنا، وما ذلك إلَّا لإخلاصه لله وتقواه الذي أكرمه بمكارم

الأخلاق، ومحبة العباد، مع حسن سيرته المرضية، وأعماله الصالحة، ومعاملته الحسنة مع الناس من حل قضاياهم، وتأمين طرقهم، وإصلاح ذات بينهم، والتي تحلى بها فاكتسى بذلك مهابة وحباً في قلوب الناس، فلا يختلف على فضله اثنان؛ بل كلّ من عرفه أحبه، ولمحبتهم له رقموا له (مراقيم تهجير) وذلك من معظم قبائل اليمن من قبائل حاشدٍ وبكيل، كما رقموا من قبلُ لآبائه وأجداده الكرام، وعلى رأسهم الإمام/ القاسم بن محمد عليه السلام، وقد رأيت في مراقيم التهجير هذه أسماءَ وتوقيع معظم قبائلنا الكرام قبائل حاشدٍ وبكيل -نسل همدان بن زيد- ومنهم قبائلنا الكرام، قبائل عذر، والعصيمات من كافّة العقال والمشايخ والوجهاء، وقد كتبوا جميعاً على ذلك أسمائهم، ووقّعوا عليها بأقلامهم، وكذلك من قبائلنا الكرام قبائل بكيل من ذومحمد، وذوحسين، وقبائل وائلة وغيرهم، لا أتذكرهم الآن، إلَّا أنّها لازالت بحمد الله محفوظة، ولا يخفى أنّ أسمائَهم شاهدةٌ عليهم بذلك، وهذه المراقيم منهم تهجيراً مؤبداً مؤكداً للوالد عبدالله بن أحسن المتوكل ولذريته حتى يرثَ اللهُ الأرضَ ومن عليها، وهي بمثابة عهود ومواثيق له ولذريته بصون أعراضهم وأموالهم والقيام معهم.. إلى آخرها، وكل هذا بفضل

الله الذي أكرمه بالمحبة بين الناس، وهذا العمل من قبائلنا الكرام، يدل على صدق محبتهم، وكرم أخلاقهم -مع أن ثقتنا بالله، واعتمادنا عليه، في كلّ مُهمّة ومُلمّة وهو حسبنا وكفى ونعم الوكيل- ونأمل بعد الله سبحانه في الرجال المؤمنين الصادقين من قبائلنا الكرام، بأن يكونوا عند حُسن الظن في الوفاء بذلك، مع أنهم لا زالوا ولن يزالوا إن شاء الله على تلك المراقيم التي قطعوها للوالد عبدالله وذريته كما تحكي مراقيم التهجير، وما ذاك إلَّا من صدق وفائهم، وشهامتهم، ورُجلتهم، ومُروءتهم، وحُبّهم للوالد عبدالله وذريته، ولا عجب فهم أهل المعروف والوفاء مُنذُ الزمن الماضي، فكم لآبائهم الكرام من أيادٍ كريمةٍ، ومقاماتٍ نبيلةٍ، ومواقفَ حسنةٍ، تدلّ على معروفهم القديم، ومنبتهم الصافي الأصيل، ووفائهم العجيب وحُبّهم الصادق لرسول الله ولأهل بيته الأكرمين ويكفيهم شرفاً وفضلاً ما جاء فيهم من الأخبار النبوية من نحو قوله ﷺ ((أتاكم أهلُ اليمن هم ألين قلوبا وأرق أفئدة، الإيمان يمان والحكمة يمانية))، وقوله ﷺ ((السلام على همدان)) ثلاثا، وذلك حينما كتب إليه علي بن أبي طالب عليه السلام يخبره بإسلامهم في يوم واحد، فسجد لله شكراً ثم رفع رأسه وقال: ((السلام على همدان))

ثلاثا، وغير ذلك من الأخبار، وأيضاً: حسبهم فضلاً ما وسمهم به أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من وسام الفخر والشرف إلى يوم القيامة بقوله:

تيمَّمْتُ هَمدان الذين همُ همُ ... إذا نابَ أمرٌ جُنتي وسـهامي
جزى اللهُ همدان الجنانَ فإنهم ... سِمام العِدا في كل يومٍ سام
رجالٌ يحبون النبي ورهطه ... لهم سالف في الدهر غير لئام
لهمدان أخلاقٌ ودينٌ يزينها ... وبأس إذا لوقوا وحَدّ خصام
وجِدٌّ وصِدقٌ في الحديث ونجدةٌ ... وعِلم إذا قالوا وطيب كلام
فلو كنتُ بوَّاباً على باب جنةٍ ... لقلتُ لهمدان ادخلوا بسلام

فهل بعد هذا الفضل من فضل يا أهل الإيمان والحكمة، بل نقول: هنيئاً لكم ذلك، هنيئاً لمن أخلص لله، ونصح لله، وأحبّ لله محمداً وأهل بيته، ولقي الله على الإيمان والتقوى، فقبِل الله عمله، وختم له بالسعادة والحسنى.

هذا.. وكم.. نعدد من فضائله رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكم.. نذكر من مناقبه، ومحامد محاسنه وكراماته، فكم أصلح بين الناس، وكم قضية حلها، وطريقٍ أمّنها، وأمورٍ أصلحها، ودماء حقنها، وفتن أطفئ نار لهيبها بالحكمة والموعظة الحسنة، وهو كما قال الشاعر: (١)

كم فك من كُرَبٍ عنّا ومن نوبٍ ... كادت تقدّ من الأشجان أشجانا
سل عنه من شئتَ من بدوٍ ومن ... سل حاشدا وبكيلا ثم سفيانا

نعم.. هذا وله رَحِمَهُ ٱللَّهُ من آبائه الكرام، وأسلافه الأخيار، الصفات الطيبة، والسمات الحميدة، التي تحلى بها فاكتسى بها مهابة وفضلا، ولله درُّ القائل حينما مدحهم بقوله:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم ... هذا التقي النقي الطاهر العلم
ما قال لا قطُّ إلا في تشهده ... لولا التشهد كانت لاؤه نعم
إذا رأته قريش قال قائلها ... إلى مكارم هذا ينتهي الكرمُ
يغضي حياءً ويغضى من مهابته ... فما يكلم إلا حين يبتسم
من معشر حبهم دينٌ وبغضهم ... كفرٌ وقربهم منجى ومعتصم
مقدمٌ بعد ذكر الله ذكرهمُ ... في كل حال ومختوم به الكلم
إن عُدَّ أهل التقى كانوا أئمتهم ... أو قيل من خير أهل الأرض قيل همُ

(١) نقلت الأبيات بتصرف يسير لمناسبة المقام.

وفاته عليه السلام

توفي رضوان الله تعالى عليه وسلامه، ولبى دعوة ربه بعد صلاة العشاء ليلة الخميس ١٢ من ذي القعدة ١٤٢٥ هـ الموافق ٢٣/ ١٢/ ٢٠٠٤م عن ثمانين سنة من عمره الحافل بكل فضيلة من السعي بالخير، والإصلاح بين الناس، ومسارعته إلى فعل الطاعات والقربات الـمُقرّبة إلى الله تعالى بالمحافظة على الصلوات الخمس في جماعة مع ضعفه وكبر سنه، ولم نره طيلة حياته إلا محافظاً عليها في جماعة؛ لهذا أكرمه الله عند وفاته بأن توفاه سبحانه وهو يُصلي، وفاضت روحه الطاهرة إلى بارئها أثناء صلاته، فسبحان من وفّقه لذلك وحباه بهذا الفضل العظيم، وقَبِله إلى جواره في أحب الأعمال لديه سبحانه، وشاء الله له هذا التوفيق العظيم، وإنَّها لتأخذني العبرة لذلك، ونسأله سبحانه التوفيق والثبات وحسن الختام، اللهمّ فاطر السماوات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة، توفني مسلماً وألحقني بالصالحين.

هذا.. ومع ما كان فيه من المرض الذي أقعده على الفراش حوالي نصف عام، إلَّا أنه كان صابراً محتسباً لثواب الله، ولم يتأفف أو يتضجر يوماً من الأيام لما هو فيه من المرض مع ضعفه وكِبر سنه؛

بل كان حامداً لله شاكراً، مُستمّراً على طاعته وعبادته، لا يفتر لسانه ليلاً ونهاراً عن ذكر الله وتلاوة كتابه حسب عادته، ولقد متّعه الله ببصره فكان ينظر في المصحف الصغير ويقرأ فيه، كما متعه سبحانه بسمعه وعقله، وكنَّا نلتجئ إليه إذا ما حدثت مشكلةٌ فيحلها، وكأنه في أيام الصّحة، فسبحان من متّعه بحواسّه وعقله، فلم يغب ذهنه أبداً، ولم يفقد وعيه حتى لقي الله تعالى؛ بل إنَّ ليلة وفاته رجعنا إليه بعد صلاة العشاء وهو يُصلي حسب عادته، وكأنّ الأمر طبيعي، ولقي الله أثناء صلاته، فسبحان من وفقه لذلك، وختم له بهذه الخاتمة الطيّبة.

لهذا.. فقدناه وفقده الخاص والعام من الناس ونحن وهم أحوج ما نكون إليه، وإنَّ القلبَ عليه حزينٌ، والفؤادَ كئيبٌ، لكن لا يسعنا إلَّا الصبر والرضى بقضاء الله، ولا نقول إلا ما يرضيه إنَّا لله وإنّا إليه راجعون، وأيضاً كان لموته رَحِمَهُ ٱللَّهُ الأثرُ البالغ في النفوس حيثُ فقد الناسُ الأب الحنون الرحيم، والـمُصلِح الأمين، والعالم الورع، فموت العالم ثغرة لا يسدُ مسدها شيء، ولله درُّ القائل:

لعمرك ما الرزيّـةُ فقـدُ مـالٍ ... ولا فـرس يـمـوتُ ولا بـعـيـرُ
ولكنَّ الرزيّـةَ فقـدُ شـخصٍ ... يضـيـع بـمـوتـه خلقٌ كثير

نعم.. ولم يزل رَحِمَهُ ٱللَّهُ دعياً إلى الله، ناشراً للخير، آمراً بالمعروف، ناهياً عن الفساد، مصلحاً بين العباد يحل مشاكلهم، ويؤمّن طرقهم، ويحقن الدماء، ويسكن الدهماء، ويطفئ نار الحروب والفتن بين الناس، حتى أختاره الله لجواره راضياً مرضيا، فصلوات الله وسلامه عليه يوم وُلِدَ، ويوم ماتَ، ويوم يُبعث حيا، وجزاه الله عنا وعن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، ورضي عنه أحسن الرضى، ورفع مقامه في أعلى عليين، ورزقنا الله من بركات أعماله الصالحة، وأنوار هدايته، ونفحات كراماته، ومكارم أخلاقه، ما نسعد به في الدّارين، وأن يجمع بيننا وبينه في دار المقامة، ومحل الزلفى والفوز والكرامة بجوار نبينا محمد وآله.

هذا.. وقد خلّف أولاداً وأحفاداً نجباء كراما، فأولاده خمسة: محمد، ويحيى، وعبد الرحمن، وقاسم، وعلي، وكلّهم من ثقات أبيهم، وهم في طاعته، وكان رحمة الله عليه بهم رحيماً، وعليهم شفيقاً، ولم تقتصر رحمته وشفقته على أولاده فحسب بل عمّت وشملت الناس جميعاً، وكذلك خلّف خمس بنات، ودرج عليه عشرة من الأولاد، وما مات حتى صار أولاده وأحفاده، وأولاد أحفاده أربعة وعشرون سيداً، وما أشبهه بقول القائل: (١)

(١) نقلت الأبيات بتصرف لمناسبة المقام.

وما ماتَ مَنْ أبقى كمثلكَ سادةً ... غَطارِيفَ شُمّاً يكسبون المعاليا
عشرين من أبناء صُلبِكَ لم يكن ... لهم أحدٌ في الخافقين مُسَاويا
وزد أربعا من بعد ذلك أنجم ... تُرى في سماء المكرمات بواديا
فمنهم عابدٌ لله برٌ مطهر ... وصاحب ذِكْرٍ ليس يَنْفَكُّ تاليا
إلى طالبٍ درَّاس عِلْمٍ مُسَامِرٍ ... لدفتره حتى يُرَى الفجرُ باديا
وأبقيت من أحفادك الشم أنجما ... فأكرم بهم رهطاً سراة مواليا
لقد عشت ميمون النقيّة ناصحا ... لربّ السماء في مكسب الحمد ساعيا
وعمرت رِضوانا ثمانين حجة ... حميداً سعيداً ظاهر الصيت عاليا
وما زلت محمود السّجايا محبّباً ... لكلّ البرايا لم نجد لك قاليا
مكارم ذكراها يزين ونظمها ... يروق من الأسماع ما كان واعيا
فحُزت وأحرزت المحاسن كلّها ... سريعاً إلى الإصلاح لا متوانيا
فيا أبتا أدعوك دعوة شيّق ... وهيهات يوما أن تُجيب المناديا
لئن كنت لبّيتَ المهيب مُسارعاً ... إلى غُرفٍ حُزنَ الحسان الغوانيا
عليك سلام الله ما هبّت الصبا ... وزارك منّا دائما متواليا
وأسكنك الرحمنُ جنات عدنه ... تحل إذا ما اخترت فيها العواليا

هذا.. وبتوفيق الله وفضله شرّفنا الله بخدمته وطاعته وخصوصا مُدّة ما أقعده المرض، ثمّ أشتد به المرض قبل موته بثلاث ليالٍ، فكان في الليل إذا رأيته تحرك وهو مُقعدٌ على فراش المرض قُمت وأجلسته حسب ما يريد، فكان من كرم أخلاقه يقول: قد أتعبتك،

فأجيبه: أنا مرتاحٌ بخدمتكم، وأستشعر الثواب من الله بطاعتكم، ويعلم الله أنَّ طاعتكم وخدمتكم أحبّ إليّ من راحة نفسي، فلما سمع ذلك دعا لنا دعواتٍ مباركات، هي أحبّ إلينا من الدنيا وما فيها، وأذكر مما دعا به أنه قال: الله يرزقك الولد الصالح، وقد أجاب الله دعوته، ورزقنا الذرية الصالحة ببركة دعائه، وهذا كله بفضل الله سبحانه وتوفيقه، ونحن متباركون بدعائه لنا ولذرياتنا مع رضاه عنا وعن والدينا، ورضاه عن كافة أولاده وذرياتهم، وقد دعا لجميع الذرية بخير الدنيا ونعيم الآخرة، وكذلك دعا على من اعتدى على ذريته أن يعظّم الله مصائبهم، ويسلط عليهم نوائب الزمان والهوان، وأن يجعلهم عبرة وعظة لخلقه كما هو مذكور في وصيته، والحمد لله الذي وفقنا لطاعته، وحبانا بمحبته، وجعل لنا محبةً في قلبه، وقد أخبرنا بعضُ أولاده بأنه لم يحظ بالمحبة أحدٌ من أولاده ولا أحفاده مثلما حظينا به، وسمعه كافة أسرتنا مرات عديدة يقول: في أولادي اثنان من أحفادي مع أنّا ما نسوى شيء إلّا بتوفيق الله ورحمته، نسأل الله القبول والإخلاص والثبات وحسن الخاتمة بحق محمد وآله.

هذا وقد شُوهِدَ نورٌ ساطعٌ من قبره في ليالي العزاء ليلة بعد ليلة، وكان وفاته بمنزله بذو صولان، ودُفن بجوار أمّه بمسجده الكائن بذو صولان، مُديرية قفلة عذر من بلاد حاشد.

وفاة زوجته

هذا.. ومن التوافق العجيب أن زوجته تُوفيت في نفس الشهر الذي توفي فيه بشهر ذي القعدة، مع أن بينهما تسع سنوات حيث تُوفيت يوم الجمعة الثاني من شهر ذي القعدة ١٤٣٤هـ الموافق ٧/ ٩/ ٢٠١٣م وفي توافق الأشهر هذا سرٌ عجيب؛ حيث لم يخيّب الله دعاءه ورجاءه، وذلك أنه كان يقول لنا قبل وفاته: قد سألت الله تعالى أن يتوفانا ويقبلنا إليه جميعاً أنا وزوجتي المؤمنة الفاضلة/ فاطمة بنت نجم الدين -مع أنه كان له زوجة غيرها- لطاعتها لله ولبرّها بوالدتي؛ لذلك فإنه كان يحبها لفضلها وطاعتها ويعرف لها قدرها ومكانتها مع ما حباها الله به من رجاحة عقلها وصبرها، وما اختصها به سبحانه من مكارم الأخلاق والفضل، فلا يختلف أحدٌ على فضلها سَل القريب والبعيد، والصغير والكبير عنها، الكل يحبها ويثني عليها بالخير والصلاح، ويذكر معروفها وإحسانها، وعطفها على الضعفاء والمساكين، فهي لم تكن أُمّاً لأولادها وكافّة أسرتها فحسب؛ بل كانت أُمّاً رحيمة بالناس جميعاً وبالخصوص الضعفاء والمساكين، فلا يرجع من عندها مسكينٌ ولا محتاج، فيدها سخية للناس جميعاً، ولذلك كان يأتي أهالي ذو صولان إليها،

ويسألونها من خير وزرع أموال زوجها فتقسمه بين الناس جميعاً، كلٌ يأخذ حصته من ذلك، وكأنهم شركاء أو مُلّاك جميعاً؛ لهذا بارك الله لهم في زراعة أموالهم حتى لقوا الله تعالى، فسبحان من أكرمها بفضله ورحمته، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده.

لهذا.. فهي لم تكن بمكانة ومحبةٍ في قلب زوجها فحسب بل كان لها مكانةٌ ومحبةٌ واحترامٌ في قلب كل شخص من أفراد أسرتنا وأهل مجتمعنا وبلدنا، حتى أولاد ضرتها فإنهم يقدرونها ويحبونها أعظم من أمهم، وقد سألتهم بنفسي عن ذلك، فالكل يعرف لها فضلها ومكانتها وينادونها جميعا بأمّنا فاطمة، فهي بحقٍ أمٌّ للناس جميعاً، حيث كان يصِلهم من فضلها وكرم إحسانها الكثير الطيّب.

هذا.. ولمعرفة أهالي ذو صولان بفضلها كان إذا ضاعت عليهم الغنمُ عند رعيهم لها في الجبل يأتون إليها ويخبرونها بأنه ضاعت عليهم بعض غنمهم عند رعيهم لها في جبل عيشان أو جبل الرحبة، وهم خائفون أن تأكلها السباع، فتقرأ عليها من كتاب الله ما شاء الله فيحفظها الله سبحانه، وترجع إلى أهلها سالمةً دون أن يصيبها سوءٌ أو مكروه، وكل ذلك بفضل الله سبحانه وتعالى ثمّ ببركة دعائها، ولقد أخبرني أحد الثقات -وقد صار اليوم ببركة الإرشاد مرشداً-

قال: ضاعت عليَّ غنمةٌ من غنمنا في الجبل، وخِفت من والدي، فأتيت إليها وأنا صغير فأخبرتها بذلك، فقرَأَتْ عليها فحفظها الله، ورجعت إلينا بعد ثلاثة أيام ببركة دعائها، وكذلك أيضاً غنم الحاجّ فلان -وسمّاه- ضاعت عليه في الجبل، فأتوا إليها فحفظها الله تعالى، ورجعت بعد أسبوع ببركة دعائها، وهكذا نحن والناس جميعاً من ضاعت عليه الغنمُ يأتي إليها، فتقرأ عليها من آيات الله، وتدعو الله أن يحفظها، فيحفظها الله سبحانه ببركة دعائها.

وكذلك أيضاً كان أهالي ذو صولان وغيرهم، إذا مرض أحدٌ: أتوا إليها لتذرّعَ له فيشفيهم الله ببركة دعائها، فسبحان من حباها بفضله ورحمته، وأكرمها بإجابة دعائها، والله يعلم أنّي لم أرَ مثلها في فضلها وتقواها في زماننا هذا كله، فهي بحقٍّ من النساء الفاضلات المؤمنات الطيبات العابدات القانتات، وليس هذا مبالغة في حقها، وإنمّا هو الحقُّ، والله المطلع على كل ذلك، وكفى بالله شهيدا، ولا ينبئك مِثلُ خبير، ومع هذا كانت ذاكرةً لله تعالى، وكنا نتعجب من ذكرها لله بقراءتها للأدعية، وخوفها وخشيتها من الله سبحانه، ومن أحوالها أنها كانت إذا سمعت بمعاصي الناس وغفلتهم عن الله سبحانه، تقول متعجبة: هل يحسب الناس أنهم لن يموتوا ويدخلوا

قبورهم، ويحاسبهم الله على أعمالهم ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥﴾ [المطففين].

لهذا.. فقدناها وفقدها القريب والبعيد، ولم ننس نحن وكافّة أسرتنا وأهل مجتمعنا فضلها وطيبة برّها وعطفها، وإنَّ القلبَ عليها حزينٌ، والفؤادَ كئيبٌ، لكن لا يسعنا إلَّا الصبر والرضى بقضاء الله، ونسأل الله أن يخلفها علينا بأحسن خلف، وأن يتلقاها بالرأفة والرحمة وأن يسكنها فسيح جناته، وأن يُلحقنا بعدها صالحين، وأن يجمعنا بها وبأسلافنا الأخيار مع محمد وآله في سدرٍ مخضودٍ، وطلح منضود، وظلٍ ممدود، وفاكهةٍ كثيرة لا مقطوعةٍ ولا ممنوعة، في جنات النعيم.

هذا.. وما أحسن بنا أن نتحلى بقول أمير المؤمنين عليه السلام:

رضيتُ بما قسم الله لي ... وفوضتُ أمري إلى خالقي
فقد أحسن الله فيما مضى ... وأرجوه يحسن فيما بقي

* * * * *

مراثيه

هذا وقد أُنشدت في مراثيه قصائد كريمة منها:

ترثية السيد العالم الفاضل / أحمد محمد عبد الله عوض حفظهم الله.

يا روضة الأرض لا نُكرا ولا عَجبا ... فيك الضـــياءُ تعلّى كوكبا عذبا
هذا الذي إن دعا الرحمن مبتهلاً ... هاجت له همـمُ الأقوام إذ وهبا
يا قبر صـولان فيك الفخرُ أجمعهُ ... فيك العُلى يعتلي الميزان منتهبا
فيـك المعالي وفيـك البرُّ إنّ لـه ... في المُدْلَهمَّاتِ صبرا يَصرب الغضبا
يصبو إلى الله في العاصي ويرمقه ... سـيف اللسـان دعاء يدفع النوَبا
ترى أنيناً له عند القطاع وإنَّ ... ذاك من عمل الأديان لا كـذِبا
ترى لســيرتـه هـديـاً لمتخـذٍ ... سبيلها عنه في بحر الهدى سربا
بيتٌ مكارمه في الصلحِ راجحةٌ ... فما تراه على الهمّات مضـطربا
لذّت معالمه يا معشــر الأُدبا ... لذّت محاسـنه يا معشـر النُجبا
آهاً لمن كان ســباقاً إلى الرُّتب ... الـدين أولهـا يهنـاه مـا كســبـا
يامن كراماته كالشُّـــهب لامِعةٌ ... في علمـك النبوي نوّاحة طربا
نـادتـه آيـاتـه والحربُ قـائمـة ... هلّت بك البشرى حمّالة شـهبا
يا سـيدي يا ملاذ الطالبين ومن ... بخامل الذكر لا ينفك منتصــبا
يـا خـاتم العلمـاء عـدلاً ومعرفةً ... يا منبع الغرباء يا منجع الأدباء
تهنـاك منزلـةً تهنـاك مكرُمـةً ... تهنـاك مغفرةً يـا أكرم النجبـا
يحفّ قبرك سُــعدٌ في جوانبـه ... الحســن تيجانه إذ يعتلي الرتبا
نعم الســموّ ونعم الأمر أجمعه ... نعم الذي حُزته في مذهبٍ ذهبا
نور الختام تعلّى بالصــلاة على ... المختار أحمدَ ثم السـادةَ النجباء

وترثية السيد/ أحمد علي عبد الله المتوكل في والدنا المرحوم عبدالله بن أحسن المتوكل رحمه الله رحمة الأبرار، وأسكنه فسيح جناته، وألحقه بنبيه محمد وآله في جنةٍ عالية، لا تسمع فيها لاغية.

الموتُ حقٌّ لكل الناسِ عن كملِ ... والموتُ خيرٌ لأهل الفضل والعملِ
حاشـا وكلا بأن الموت يتركنا ... فقد أتى خير خلق الله والرسلِ
فالمصطفى إسوة للناس أجمعهم ... فالموت يهتابه المنقوص في العملِ
أمّا الذي طاع للرحمن ممتثلاً ... للموت محتسـباً والجنة الأمل
نشـيع الفخر عبد الله والدنا ... متوكليٌ من الأخيـار والأولِ
وعـالـمٌ وتـقـيٌ قـولـهُ دُررٌ ... ومصـلحٌ ومهابٌ جلَّ من رجلِ
أطفأْتَ حرب بكيل حاشـد أبدا ... أخمَدْتَ نار لهيب الشرّ في وَهَلِ
إذا الحروب تمادت قام يخمدها ... يرسل إليها رسولاً تُطفأ على عجلِ
واللّه إنّـا نشـيعـه وكربتنـا ... على الرقاب ولم نلقى له بدل
متعبدٌ طاهرٌ لله محتسـبٌ ... وزاهدٌ بيته سُـقُف من الأثلِ
متواضـعٌ وأبو ذرٍ شـبيهـا بـه ... وقبره وحده المدفون في الوشلِ
بأمه طائعٌ أوصـت وصـيته ... أن يدفن الرأس عند اقدامها الذُّبلِ
تمّ دفنّاه ونفـذنـا وصـيتـه ... جمعٌ غفيرٌ نشـيعـه بلا ملـلِ
يا طائع الوالدين الحورُ في فرحٍ ... أنت العريسُ إليك الحور في حللِ
مـا قـال أُفٍ لأُمٍ لا؛ ولا أبـدا ... ومن يشاء حاجةً منهُ بها وصل

فطاعة الله في الآباء قد حملا ... وسـاير الناسَ بالأخلاق والنُبلِ
يهنـاه والحور يـأتين لـه زمرٌ ... اللّـه اللّـه يرحمـه مـد الأزلِ
يا جار أحمد والفردوس مسكنكم ... حظٌ عظيمٌ بلغت أبلغَ الأملِ
أبنـائـه وبني الأبنـاء والـدنـا ... في جنةٍ تحتها الأنهار من عسلِ
إمامنا شـيخنا الناس بعدكم ... مثل اليتامى فمن يكفل كما كَفل
والله إنا لفي خوفٍ وفي وجلٍ ... وكظم غيظٍ أتانا الخوف بالذللِ
تيارنا وانت حي كان متصـلاً ... عَلاقةً صغتها أعظم من الدّولِ
لَمَّا تُوفيت فالتيار قد فُصـلا ... لكن دُعاك لنا حِصن من الوجلِ
فأنت حرزٌ لنا من كل معضـلة ... يبقى دُعاك لنا صـون من الزللِ
وأنت حصنٌ منيعٌ من دعيتَ له ... يلقا دعاك له كهف من الجبلِ
ومن دعيتَ به يصـرع بدعوتك ... أو يُبتلى أو تراه جُنّ بـالخبـلِ
فيـا بني عمنـا بـالله رحمتـه ... عصـاه هيبتها سـيفٌ بلا سـللِ
ويوقف الحرب إذا اشتعلت مقارعها ... يرسل بلحفته تُطفى على عجلِ
مـا رُدَّ جـاهٌ لـه كلا، ولا أبـدا ... فـآل طـه همُ الورّاث لرسـلِ
فرحمـة الله سـيّدنا وقدوتنا ... تعمُّ قبرك في الأُخرى مع الأُولِ
ثمَّ الصلاة من الرحمن خالقنا ... على النبي وأهل البيت عن كملِ

* * * * *

وترثية السيد الفاضل/ نجم علي عبد الله المتوكل في الوالد المرحوم العلامة/ عبدالله بن أحسن المتوكل رحمه الله رحمة الأبرار.

أيّها القفلة ألبسي الأسودِيَّا ... واندبي العالم الكبير الزكيا
أوما تدري أنه أنهدَّ ركنٌ ... منكِ بالأمس إذ توفىَّ وليّا
عالمٌ عارفٌ لربي يقيناً ... ذاكر اللّه بكرة وعشيا
مثلما الغيث نافعا للعبادي ... مصلحُ العصرِ هاديا مهديا
قد كساه اللّه جمالاً ونوراً ... مثلما البدر في السماء مضيا
عالمُ الآل حجةُ اللّه فينا ... قد لقي اللّه راضيا مرضيا
عبدالله بن أحسن قد نقله ... اللّه للجنة هنيّا مريّا
غير أنَّا به فجعنا فقد كان ... لنا معْقِلاً ودرعاً قويَّا
فالربي الحمدُ والشكر منَّا ... قهرَ الناس بالفناء سويّا
قدوة الناس في البلاد جميعاً ... طائعا لله وللوالديّا
خادماً أمه لها مثل عبدٍ ... بين أقدامها تراه جثيّا
لا يقول لا في أمرٍ قد أمرته ... حتى ولو كان أمرها عسكريّا
كم به اهتدوا عصاةً وتابوا ... وقتدوا بالمطبق العمليّا
كان بالفعل يدعو الناس لا با ... لقول والناس يسمعوا الأوليّا
ولقد كان مستجاب الدعاء ... ليس يخطي كرمية البندقيّا
كن لربي كما يريد يكن ... ربي لك مثلما تريد وفيّا

كـان لِلـهِ قـانتـاً مسـتقيمـاً أمـةً يقتـدي بـه المقتـديّـا
لم يكن همّهُ سوى إعلاء دين اللّه في الأرض مُذ كان صـبيّا
قد قضـى عمره جميعاً جهادا تالي الذكر راكعاً سـاجديّا
أمراً بـالمعروف نـاهٍ بقلـبٍ ولسـانٍ للمنكـر واليـديّـا
أبيض اللون والثيـاب وقورٌ مسـبغ للوضـوء برّا تقيّـا
مؤمنٌ صـادقٌ مهابٌ جليلٌ هاشـميٌ من أهل بيت النبيَّ
خـائفاً للإلـه خوفاً شـديداً آمِـلاً عـفـو ربـه راجـيّـا
وسع الناس صدره لم يكن متـ ـشـدّداً بل معتدلاً وسـطيّا
خالقا الناس كلهم عاذراً من خـالفوه مسـالمـاً سـلميّـا
ولقـد أبتلاه ربي بـمـا قـد أبتلى المؤمنين لم يشـتكيّـا
صـابراً راضـياً بما قد قضـاه اللّه ليس بسـاخطٍ شـكيّا
ثمَّ بعد تمحيص ربي قبضـه طـاهر مـا عليـه ذنبـا نقيّـا
فـهـنيـئـاً لـه قصـورٌ وحـورٌ خـالـدٌ آكـلٌ لمـا يشـتهيّـا
لاتبكـوا عليـه أبنـاء عـمي إنـه في ضـيـافـة الخـالقيّـا
ضـيف ربي عبده دهراً طويلاً سـيكون بـه يقيّنـا حفيّـا
إنه في الفردوس من دون شك يتـهنّـا لـو تعلـمون رضـيّـا
وإذا الّـلـم الـفـراقُ فصـبـراً وقريبـاً في الجنّـة نلتقيّـا
شيخ بيت المتوكل عالم الآل سـلامٌ عليـك ميتـاً وحيّـا

طبت حيّا وطبت ميتا وللـــــه شـهدت بأنه واحديّا
فالربي الحمد والشكر أن ثبتك يـا سـيّـدي وأنـت حـريّـا
يا أبانا ثلمت في الدين ثُلما لا يســدُّ وما لنا نـاصــريّا
سـوف تتكالب الأعداء علينا لكن اللّٰه حسـبنـا والـديّا
من له ذلك القبول وذاك الجاه كـنـت كـكـوكـب دُرِّيّـا
يا إلاهي اجبر مصـابنا فيه واعطـه سُـؤلـه بجـاه النبيّ
وأحـرّ الـتـعـازي لـلأهـل ولأولاد وبناء بكيل والحاشديّا
والصـلاة عـلـى النـبـي وآلٍ والصـحـاب الكرام والتابعيّا

* * * * *

فوائد أخرى

نعم.. ونتبرك بذكر بعض قصائد الإمام القاسم بن محمد عليه السلام، ومن قصيدة له يحث فيها أتباع أهل البيت عليهم السلام

ياذا المريد لنفسه تثبيتا	ولدينه عند الإله ثبوتا
أسلك طريقة آل أحمد وسألن	سفن النجا إن تسألوا ياقوتا
لا تعدلن بآل أحمد غيرهم	وهل الحصاة تشاكل الياقوتا
الله أوجب ودّهم في وحيه	والرجس أذهب عنهم إن شئتا
وأئمة الأخيار تروي فضلهم	فابحث تجده مجملاً وشتيتا
ما إن تلم بمسندٍ أو مرسلٍ	إلا وجدت لهم هناك نعوتا

وله عليه السلام القصيدة المسماة (باستفتاح الفرج) أنشأها أثناء حصاره فأتاه من الله الفرج، وهي مائه بيت أخترت منها الأبيات التالية:

يا ملجأ للخائف المحتارا	يا من يغيث مشرداً قد طارا
يا حي يا قيوم يا غوث الذي	يشكو إليك من الذي قد جارا
يا من يجير بفضله مستضعفاً	مستصرخاً متضرعاً لك جارا
يا من يجير ولا يجار عليه في	سلطانه يا قاصماً جبارا
يا من هو الله الشديد محاله	يا قادراً يا غالباً قهارا
يا من تنزه أن نراه بناظرٍ	يا من يحيط ويدرك الأبصارا

يا أولاً يا آخـــراً يا ظـــاهراً ... يا باطناً يا عالمـــاً أســـرارا
يا واحـــــداً يا دائماً يا باقياً ... يا مـــن أبان عـــجائباً وأثـــارا
يا نافخ الأرواح في أشـــباحها ... ومقـــدراً لبقائـــها مقـــدارا
يا محيي الأموات بعد فنائهم ... لجزائهم نعم الجنـان ونـارا
يا من بنى السبع الشدائد ومن دحى ... الأرض المهـاد ونور الأنوارا
يـا من أدار بـأمره في ملكـه ... فلـكـا مـطيـعـاً دائبـا دوارا
يا مرسـياً شـم الجبال بأرضـه ... ومحـملاً أثقـالـهـا الزخـارا
يا منزل الغيث الهني تفضـلاً ... لعـبـاده يـا مـجـريـاً أنـهـارا
يا من حوائج خلقه من عنده ... يقضي ويغني البائس المعسارا
يا من تعفرت الجباه تواضـعاً ... لجلاله صـــار العِظامُ حُقَارا
يـا من إذا وقف الطريـدُ ببـابـه ... يشكو يفـرِّجُ كـربه الكُـبارا
يا من إذا المضـطر أجهده البلاء ... فدعاك تكشـف فادحاً ضرارا
يا ربُّ يا حـــــنانُ يا منَّانُ يا ... رحـــمنُ يا ديّـانُ يا جـــبارا
يشكو عُبيـدُكَ بعد أن نزلت به ... دهماءُ يسعر حـرُّها إســعارا
يشكو إليك من الذي بعث الأولى ... يبغون فجعة مؤمـــنٍ ودمـــارا
يشكو شكايةَ محرقٍ مستضعفٍ ... كثرت جنود عدوه فتجـارا

إلى قوله:

لا يرتجون لحل ما ينزل بهم أحداً سواك أتوا إليك فرارا
وقفوا ببابك طالبين لنفحة تطفي حرارة محرق محرارا
فبحق ذاتك يا مغيث عُبيده المضطر ممن قد أراد ضرارا
وبحق ذاتك يا رحيم برحمة رادفتها بتفضل مدرارا
وبحرمة السبع المثاني إنها نورٌ أضاء لنا ولن يتوارا
وبكل حرمة آية أنزلتها أدعو بها الإعلان والإسرارا
بملائك لا يفترون عبادة عدوا طوال زمان ذاك قصارا
ببديع فطرتك الذي أكرمته بسجود من لا يكسب الأوزارا
وبأنبيائك كلهم أهل الوفاء والجاعلي نصح العباد شعارا
وبحق لقمان الحكيم وفتية بالكهف نالوا من لدنك جوارا
وبخاتم الرسل الكرام محمد خير الأنام الرسل والأخيارا
أكرم بخير المرسلين محمد أكرم به في المرسلين خيارا
أكرم به من مرسل أكرم به من صادق أكرم به مختارا
بجماعة الآل الكرام جميعهم أهل النجاة وسفينها الأطهارا
وبكل عبدٍ في البرية صالح لم أسمه لا أترك الأبرارا
بالكعبة البيت الحرام وركنه ومقام من عمر العتيق وزارا

وبزمزم والمروتين ومشعرٍ ومواقف أكرم بهن مزارا
أن تكشف السوء الذي قد حلّ بي وبصبيتي والمؤمنين وثارا
أرني إلهي ما وعدت عُبيدك المضطر غوثا مسرعا نصارا
نحن الذين إليك يا رب التجأ ممن طغى أومن بغى الإضرارا
اجعل دعائي موصلاً بإجابة وانظر إلينا واكفنا الأشرارا
فرق جموع المفسدين وحولن إقبالهم يا سيدي إدبارا
حتى نقر ولا نخاف من الأولى يبغوننا بنكاية ديارا
أسرع ولا تقطع رجائي إنني لما أزل لك راجياً نظارا
وعلى الملائك كلهم والأنبياء أبداً صلاة مكثراً إكثارا
وخصص محمداً الأمين بخير ما آتيت رسلك طيباً مكثارا
وعلى كرام الآل آل فُرَّعُوا من خير من ركب المطي وسارا
وغفر لنا والمؤمنين ذنوبنا إنّا طلبنا راحماً غفارا

* * * * *

خاتمة

ختم الله لنا ولكافة عباده المؤمنين بالسعادة والحسنى آمين اللّهم آمين.

إلى هنا يتوقف عنان القلم القاصر إلماماً بصاحب هذه السيرة المباركة فهو بحرٌ لا يُنتهى فيه إلى آخر.

تمَّ بحمد لله وتوفيقه وعونه وتسديده الفراغُ من زبر سيرة والدنا العالم العابد/ عبدالله بن الحسن المتوكل يوم الثلاثاء١٠ محرم ١٤٣٠ هـ الموافق ٦/ ١/ ٢٠٠٩م نسأل اللهَ أن يتقبّلَ منا هذا العمل، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يكونَ سبباً لمحو سيئاتنا ومغفرة ذنوبنا، وأماناً لنا من الفزع الأكبر، ومقرباً لنا إلى رضوانه وجنته بجوار نبينا محمد وآله، وأن ينفعَنا وجميع العباد بذلك بحول الله وقوته، وأن يكتب لنا ولمن يشارك في نشر هذا العمل الأجرَ والمثوبة، وأن يجزي والدنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ عنّا وعن كافة المسلمين خير الجزاء، ويرضا عنه أحسن الرضى ويرفع مقامه في أعلى عليين، كما نسأله سبحانه أن يجزي والدينا وعلمائنا الكرام عنّا أفضل ما جازى به عباده الصالحين وأوليائه المتقين وأن يشركهم في ثواب هذا العمل، وأن يجمعنا بهم وبأسلافنا الأخيار في دار كرامته ومحل أوليائه، في دارٍ دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام، وآخر دعواهم أنِ الحمدُ لله رب العالمين.

هذا.. ومن فضل الله وعونه أنه تيسر الصفُ لهذا العمل مع أنه قد تأخر عن وقت زبره بحوالي خمسة عشر عاماً، نسأل الله القبول لذلك، وأن يجعل كل حياتنا عامرة بطاعته، وإحياء لدينه وإرشاد عباده، وإن يحققَ سبحانه أملنا في ذلك كما يحب ويرضى بذلك عنا، بحوله وقوته إنه قريبٌ مجيبٌ، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، ونقول في خلاصة تاريخ الحياة:

قد مضت وانقضت ثلاثون عاما ثم زادت عشراً كطرفة عين
ربِّ حقق ما كنتُ أرجوه فيما قد تبقّا من نشرِ علمٍ ودين
واثقٌ فيك يا إلهي أن تبـــــــــ ـــلغني فسحة مع التمكين
ربّ فاغفر وارحم وأيد وسدد واعف والطف بعبدك المسكين

وأيضاً قلت: هذه الأبيات أثناء الغربة أيام الإرشاد بصعدة لما وجهنا علمائنا الأعلام رضوان الله عليهم للإرشاد، وعلى رأسهم سيدي العالم الحجة/ محمد بن عبدالله عوض حفظه الله تعالى، وذلك تضرعا وابتهالاً بين يدي الله سبحانه، وطلباً لعفوه ومغفرته، ونسأله سبحانه أن يرزقنا ووالدينا وكافة المؤمنين حسن الخاتمة.

ربـاه عفوك عن ذنوبي إنّني ... عبدٌ ضـعيفٌ راجياً رحماك
فامنن على العبد الضـعيف برحمة ... حسّـن ختامي حينما ألقاك
واشـملنِ بالعفو العظيم وبالرضـا ... والطف بنا يا ربنا برضـــاك
واكتب لنا الحسـنى بخير هداية ... في هذه الدنيا وفي أُخراك
في غربتي وبدار هجرتي التي ... فيها أُرجِّي منك حسـن جزاك
نرجوك توفيقاً عظيماً شـــاملاً ... وانصر بنا دين النبي نصراك
فالحمدُ لله العظيم بفضـــله ... ذو المنّ والإحسان جلّ علاك
فاقبل دعائي واسـتجب لتضـرعي ... ما خاب يوماً من دعا ورجاك

هذا.. ونحمد الله على عونه وتوفيقه، ونسأل الله أن يكتب لنا الأجر والمثوبة على ما بذلنا من جهدٍ في ذلك، وأستمد الدعاء من إخواني المؤمنين، وأطلب منهم ومن جميع ذريتي وذريتهم إلى يوم الدين، ومن أقاربنا وأرحامنا ومحبينا وكافة المسلمين إلى يوم القيامة ألا ينسوني من الدعاء، وأن يشركوني في صالح أعمالهم الصالحة من أعمال برٍّ وصدقاتٍ ونذورٍ أو أيّ قربة مقربة إلى الله، وأنا متقبلٌ كل ذلك منهم، وأسأل الله أن يجزيهم بإحسانهم أضعاف ذلك كله بأفضل ما جازى به عباده الصالحين وأوليائه المتقين، إنّه الوهابُ الكريم.

وختاماً أسأل الله سبحانه وتعالى، وأدعوه بما أعلمنا في كتابه المبين:

﴿رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَصۡلِحۡ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓۖ إِنِّي تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٥﴾ [الأحقاف]

﴿فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ١٠١﴾ [يوسف]. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى أهل بيته الطاهرين.

تم الصف والإخراج بمدرسة الفتح العلمية/ اليمن - صعدة
بتاريخ ١٢ القعدة ١٤٤٥هـ، الموافق ٢٠/ ٥/ ٢٠٢٤م

تم بحمد الله

الفهرس

تقريض المولى العلامة الحجة/ محمد عبدالله عوض المؤيدي أيده الله..... ٣
تقديم ١١
السبب الداعي لهذه السيرة..... ١٣
نسبه الشريف ١٧
مولده ١٨
حليته ١٨
نشأته..... ١٩
مشائخه ١٩
نبذة من حياته المباركة ٢٠
مكانته في المجتمع..... ٢٥
الإصلاح بين الناس ٢٦
وضع الناس من الفتن..... ٢٩
ذكر بعض مواقفه الكريمة ٣٧
تواضعه وأخلاقه..... ٤٢
ورعه وتقواه لله تعالى..... ٤٤
برّه وطاعته بأمه ٤٦
كراماته رضوان الله عليه..... ٥٠
كرامة استجابة الدعاء..... ٥٢
قصة الرجل مع أهله ٥٤
عقوبة من نقض الصلح..... ٥٤
ذو صولان، ومحنوش ٥٥

قصة أهل قطبين ٥٥
الأهنوم، وذو بوسعيد..... ٥٦
قصة الأهنوم ٥٦
قصة بلاد الشط..... ٥٧
خوف المتقطع من دعائه..... ٦٠
قصة صاحب ذمار..... ٦١
بعض من بركاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ..... ٦٢
كرامة الشفاء..... ٦٤
كرامة نزول المطر ٦٥
كرامة الاستسقاء..... ٦٧
قصة وجود الماء..... ٧٠
قصة القيسي ٧٠
محبة القلوب له..... ٧٢
بعض المواقف التي حصلت..... ٧٦
موقف آخر ٧٨
وفاته عليه السلام ٨٨
وفاة زوجته ٩٣
مراثيه ٩٧
فوائد أخرى ١٠٣
خاتمة..... ١٠٧
الفهرس..... ١١١